سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٦

المباني الخُلقيّة للعلاقات الدّوليّة في الدّولة المهدويّة

السيد د. علي عبد الله فضل الله

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

■ المبَاني الخُلُقِيَّة للعَلاقات الدَّوليَّة في الدَّولة المهدويَّة
-السَّيد د. علي عبد الله فضل الله-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٥ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحُوثِ
بيروتَ - بَغدَادْ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات الفكر المهدوي ٦

المباني الخُلقيّة للعلاقات الدّوليّة في الدّولة المهدويّة

• السّيد د. علي عبد الله فضل الله
أستاذٌ حوزويٌّ وجامعيٌّ من لبنان

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سِلسِلةُ دِراساتِ الفِكرِ المَهدَويّ

تمُثِّـل فكـرةُ المُخلِّص قضيّـةً محوريّـةً في الفكر الإنسـانيِّ عامّـةً، وفي الفِكرِ الإسـلاميِّ على وجه الخصـوص، وتأتي تحت عنوان القضيّـة المهدويّة. والجدير بالذِّكر أنَّ المَهدويّةَ في الفكر الإسـلاميِّ ليسَـت مُجرَّدَ نظريّة تَرتبط بالفقه السِّياسيِّ وطَبيعة الحُكم في الإسلام، بل لها أبعادٌ عقائديّةٌ وحضاريّةٌ تَتعلَّق بنظرية الاستخلاف الإلهـيِّ في الأرض: ﴿**وَنُرِيـدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾، وبالتَّكاليف المُوجّهة للإنسـان في سَعيه المُفترَض نحو الكـمال، وهي تكاليفُ تتعلَّـقُ أولًا بتأمين الأرضيّـة الصّالحة لظُهـور المُخلِّص، وبالمُواصفات التي يَنبغي توافُرُها في الأنصار من أجل الظُّهور المُبارَك، وهي ترتبط ثانيًا باسـتنفاد الأطاريـح الخادعة والمُضلِّلة التي تدَّعي أنَّها تُقـدِّمُ الحلولَ النِّهائيّةَ للبَـشر ولتَحقيـق العَدالة، ثم هـي ثالثًا تَرتبطُ بمَوضـوع القيادة المُرتبطـة بالإمامة المَعصومة كمَرجعيّة أصيلة في قيادة الحكومة البشريّة نحو خلاصها وسعادتها.

من هنا، تأتي هذه السِّلسـلةُ لتُحاولَ تَبيـنَ إرهاصات هذه الحكومة، وهَيكليّتها، وتَعريفهـا لذاتها وواقعها، وطريقة تَعاطيها مـع التَّناقُضات الأزليّة في عالم التَّزاحُم والصِّراعات، كما تُقدِّمُ النَّظريّةَ الإسـلاميّةَ لفكرة المَهدويّة في أبعادها الاستراتيجية والسِّياسيّة والاجتماعيّة وحتَّى الفَرديّة، بلُغة مُعاصرة، وبمَنهجيّة علميّة، تَفتحُ الآفاقَ العَملية أمامَ التَّوّاقينَ إلى خلاص البَشريّة، وتُقدِّمُ تصوُّرًا عَمليًّا عن «البَديل»؛ لتُثبتَ أنَّه مُمكنٌ، وواقعيٌّ، وقريب؛ ولِيَعرفَ المُمَهِّدونَ تكليفَهم في طريق التَّمهيد للظُّهور المُبارَك، ومَوقعَهُم من النَّظريّات العلميّة والأحداث السِّياسـيّة، ويَسـيرَ المَهدويُّونَ على بَصيرة؛ ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾.

مُقدّمة

إنَّ التَّمهيد لـ (الإمام المهدي) عليه السلام واجب المؤمن به، إقرارًا بهذا الإيمان، وتصديقًا له بالعمل. فالمؤمن، في زمن الغيبة، ليس تاركًا لإمامه، بل هو حاضر لنُصرته في الزَّمن المناسب. وهذا يتطلَّب برنامجَ حياة مختلف، يتضمَّن في كل تفاصيله التَّرقُّب والجهوزيَّة. فمشروع الإمام عليه السلام كبيرٌ وعظيمٌ، وهو الأخطر والأهمُّ في تاريخ البشريَّة، وعناصر نجاحه صعبة التَّحقُّق جدًّا، إلى حدّ الاستحالة. مع ذلك، سيحدث الظُّهور المُدوّي، حين تتراكم نقاط قابليَّة توفيقه، ويُدهش العالم.

سيؤسّس الإمام عليه السلام لدولة آخر الزَّمان، المُتَّصلة بالقيامة، وتمتدُّ إلى ما شاء الله -تعالى-، وتُقدّم مِصداق الاستخلاف المُجتمعي والدَّولي التَّام، الذي من أجله جعل الله في الأرض خليفة. ستكون دولة العدل هي الجواب المُقنع لاستفسار الملائكة الأوَّل، فهي ستخلو من الإفساد

في الأرض وسفك الدّماء، بل ستملأ الأرض قِسطًا وعدلاً. لم تتحقَّق هذه الحكومة عبر تاريخ البشريَّة بهذا الوضوح والدَّوام والكمال، لكنَّها مذخورة للمستقبل، الذي نأمل أن يكون قريبًا.

يهتمُّ المُمهِّد الحقيقيُّ للبحث في عناصر هذا المستقبل، ويبني عليه، ويُهيّئ عناصره. وهنا نقطة مهمَّة، جيّدة للتَّأمُّل: إنَّ فَهم ما يتطلَّبه ظهور المعصوم يُعرف عند ظهوره، فيتبيَّنَ للمنتظِر ما كان عليه أن يفعله حقًّا. يعني أنَّ الدَّولة المهدويَّة هي مشروع هائل، وغير مسبوق، وتَحقُّقه يحتاج إلى توفُّر شروط كثيرة يسعى المؤمن لاستكشافها والعمل على إنجازها، طمعًا في تقريب الظهور، من خلال القيام بما ينبغي عليه. لكن، مع ذلك، فإنَّ إدراك طبيعة هذه الدَّولة وطبيعة أركانها ليس أمرًا سهلاً؛ لأنَّها لا تشبه أيَّ شيء سبقها. لذلك، من المفيد العمل على فهم دولة (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف، والسَّعي في استكشاف ماهيَّتها، وتجاوز المألوف والسَّائد في توصيفها، وصولاً إلى تحديد التَّكليف المطلوب من المُمهِّد في حياته، ليقول لله تعالى -لو سبقه الموت- إنَّه بذل ما أمكنه.

هذا الكُتيّب يتناول قضيَّة محدَّدة بعناية، ولعلَّها جديدة، وهي المباني الخُلُقيَّة للعَلاقات الدَّوليَّة في الدَّولة المهدويَّة، وهو يجيب عن سؤال: كيف ستكون العلاقات الدَّوليَّة في زمن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ وما هي أُسسها الخُلُقيَّة؟ ويعتمد البحث على منهج استقرائيّ مقارن، مضافًا إلى منهج وصفيّ تحليليّ، والمنهج التَّحليل السّياسي الحديث، بمراحله الخمس.

ويفـترض، في نتيجته، أنَّ العَلاقات الدَّوليَّة سـتنتفي في الدَّولة المهدويَّة، لتُسـتبدَل بعَلاقات بين الشُّـعوب والأُمم، تحت سـقف العدل التَّام، وفقه الأخلاق الإسلاميَّة.

برزت صعوبات عدَّة في إكـمال هذا الكُتيّب، ومنها قلَّة المصادر المُتاحة في مجـال الإشـكاليَّة وفرضيَّتهـا، فاسـتُعيض عنها بسـبرٍ واسـع، مُتعدّد المرجعيَّـات، لطبائع العَلاقات الدَّوليَّة ونظريَّاتها، والسّـيرة التَّحقيقيَّة وما يفيد به القرآن والأحاديث الشَّريفة، قبل كلّ شيء. كما اسـتُفيد من أبحاث متنوّعة في هذا المجال، وكلام العلماء، وسنن التَّاريخ، في محاولة لتقصّي هـذا العنوان المفيد. طبعًا، لن يكون هـذا الكُتيّب كافيًا للإحاطة بجوانب عنوانـه، لكنَّه يدفع إلى المزيد من التَّوسُّـع في المسـتقبل، بحثًـا وكتابةً. فقضيَّة الدَّولة المهدويَّة تستحقُّ كلَّ جهد، وما زال التَّقصير واقعًا في تناول المستقبل الذَّهبي للبشريَّة.

يتوجـه هذا الكُتيّـب إلى المؤمنين بـ (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفق مدرسـة أهل البيت عليهم السلام.

أمَّـا منْ لديهم أسـئلة أوَّليَّة عن أصـل القضيَّة، فمجالهـم مختلف، ليس هنـا مقامه. ومـن المفيد التَّنبيـه إلى أنَّ هذا الكُتيّب التـزم بشروط الكتابة وحجمها، ضمن نطاق محدَّد مُسبقًا، كي يبقى في إطاره نصًّا موسَّعًا، دون مطوَّلات تخرج عن المراد منه.

الفَصْلُ الأَوَّلُ:
نسبيَّة الأخلاق وسياسة القوَّة
في السّياسات الغربيَّة الماديَّة

من أُولى وسـائل الهـروب من الالتزامات الإنسـانيَّة، هي إعـادة تعريف الأخلاق على أسس ماديَّة بحتة. وهذا ما فعله الغربيُّون في القرون الأخيرة، وبها سـادوا على الأُمم الأخرى بالقسـوة الشَّـديدة. يومًا ما، عندما يخرج العالم من «صُندوق» هيمنة الغرب، سـتكون عمليَّة تقويم أدائه السُّلطوي أوضـح وأجـلى. إنَّ التَّقـدُّم التّكنولوجي الذي اسـتُند إليه كثيرًا لتسـويق سرديَّة تفوُّق الغرب هو، قبل كل شيء، بدأ تطويرًا لوسائل الفتك، في إطار منظومة تفكيرٍ تقطع مع ماضيها الظَّلامي، وتحاول التَّعويض عنه باحتلال العالم ونهبه، بالاتّكاء على قوَّة أدوات القتل، التي مكَّنت منها طفرة علميَّة تجريبيَّـة، ركَّزت التمويل على الحروب، وفي هذا يطول الكلام. المهمُّ أنَّ هذا كان بلاءً للشُّعوب الأخرى، التي اكتوت من القوَّة العسكريَّة للغربيّين، ولا سيَّما في القرنين الأخيرين.

قبل اتفاقيَّة وسـتفاليا (Westfälischer Friede) عام ١٦٤٨م، التي حدَّت من سُـلطة (البابا)، وقبل الثَّورتين الفرنسـيَّة عـام ١٧٨٩م، والأميركيَّة عام

١٧٧٦م، كان إرث المسيحيَّة الخُلُقيّ موجودًا ويَضبط، إلى حدٍّ ما، أداء الأباطرة؛ لأنَّ الخطاب العام كان يُكرّر القِيَم الخُلُقِيَّة الدّينيَّة. هذا الجزء من التَّحليل ليس متداوَلاً؛ لأنَّ الرُّواية التي كتبها المؤرّخون الماديُّون قد شيطنت الكنيسة في كلّ المراحل، والتي أطلق (نيكولا مكيافيلي- Niccolò Machiavelli) عليها لقب "عصور الظلمات". ربمَّا يحتاج الأمر إلى إعادة نظر في تجربة الكَنيسة سياسيًّا، وما لها وما عليها، بطريقة موضوعيَّة، وليس من منظور "ضحاياها" من جماعة "التَّنوير" والأثرياء الجُدد. ففي الأمر غنى معرفي، لاتّخاذ موقف علميّ من تلك التَّجربة، وإن كان "ما عليها" جليًّا وتتوسَّع فيه كتب التَّاريخ.

كانت الانقسامات التي حصلت داخل الكنيسة الكاثوليكيَّة ذات أثر عميق. وفي الواقع، إنَّ هناك أسبابًا عدَّة لحدوث هذه الصّدامات، ومنها ما له علاقة بطبيعة الهيمنة الكَنسيَّة على الشَّأن العام في أوروبَّا. لكن من المفيد التَّأمُّل بما أنتجته إيرادات ما يُسمَّى "بالاستعمار" في العالم. إنَّ أوروبَّا قارة صغيرة وفقيرة ذات شَمال بارد، وعانت قرونًا من التَّخلُّف الشَّديد، إلى حدّ أنَّ رحّالة كـ (ابن بطوطة)، أبى أن يذهب إليها، رغم أنَّ جولاته خلال أكثر من عشرين عامًا لم توفّر شعبًا ذا حضور وتأثير. وباختصار شديد، كانت استعادة الأندلس، "واكتشاف" القارة الأمريكيَّة، التي أبحر إليها (كريستوفر كولومبوس -Christopher Columbus) بعد ثلاثة أشهر فقط من سقوط الأندلس، وبإرشاد من بحَّارة مسلمين، نقطة

تحـوُّل كبيرة جـدًّا في التَّاريخ الأوروبيّ، رفعـت طموحهم إلى ما فوق ما كانوا يحلمون. فبعد ما يقارب أربعين عامًا فقط، بدأ الإسـبان والبرتغاليُّون بتقسـيم العالم فيما بينهم، مع بداية عهد نهب الشُّعوب الأخرى، واحتلال أراضيهم بطريقة متوحّشة.

كانت مجتمعات أوروبَّا طبقيَّة، فيها الملك ونبلاؤه، وفيها طبقة الإقطاعيين ومالكي الأراضي، وفيها النَّاس المسحوقة. خلال عقود من الزمن، نشأت بصـورة تصاعديَّة -بفضل غنائم "الاسـتعمار" الهائلة- طبقة جديدة، وهي طبقـة الأغنياء أو البرجوازيّين، بحسـب التَّسـمية الماركسـيَّة. بدأت هذه الطبقـة تَقـوى تدريجيًّا؛ إذ امتلكت هي الإمكانـات الماليَّة، خصوصًا في مجتمعـات ذات فعاليَّة قِيَميَّـة مُنخفضة، يعني القوَّة السّياسـيَّة المباشرة. زاحـم البرجوازيُّـون الطَّبقات الأخرى، مطالبين بنفـوذ كامل، الأمر الذي جعلهـم في مواجهة الملوك والإقطاعيّين والكَنيسـة. ومـع مرور الوقت، وصلت الأمور إلى نقطة صِدام، واختلفت النَّتائج بحسب كل بلد.

على سبيل المثال، في بريطانيا، تفطَّن الملك إلى المستقبل الواعد للطَّبقة الجديدة، فتحالف معها ضدَّ ملاَّك الأراضي، فتجاوزت المملكة المتحدة هـذا القُطـوع، وتثبَّتـت أركان التَّـداول البرلمـاني في نظامها السّـياسي، وحكمت العالم لقرون. أمَّا في فرنسا، فقد اصطدم الملك مع هذه الطَّبقة، فاسـتثمرت إمكاناتها ضدَّه، وسـقطت المَلَكيَّة بفعل الثَّورة الفرنسـيَّة. لا شـكَّ أنَّ هناك عوامل أخرى لعبت دورًا مهمًّا في التَّغييرات السّياسـيَّة في

القارَّة النَّاهضة، ومنها الاستبداد التي عانت منه طويلاً، وغيره.
مـن نتائـج التَّبـدُّلات في موازين القُـوى الدَّاخليَّـة، هو تفكُّك الكنيسـة الكاثوليكيَّـة؛ حيثُ ارتفعـت الأصوات مطالبةً بالإصـلاح الكَنسيّ، وكان منها حركة (كالفـن -Calvin) و(لوثر -Luther)، التي خرج منها المذهب البروتسـتانتيُّ. ومن رحم البروتستانتيَّة خرج الفكر الليبراليّ، الذي تمحور في بدايتـه حـول نقطتين: الأولى هي حريَّة الإنسـان في عَلاقتـه مع ربّه، والثَّانيـة هي حريَّته الاقتصاديَّة. فيبرز هنـا بوضوح، تأثير التَّبدُّلات الطَّبقيَّة ذات الخلفيَّة الماليَّة على تغيُّر صورة أوروبَّا تدريجيًّا.
في مـوازاة إضعاف المؤسَّسـة الكنسـيَّة، عَلَت أصـوات كلِّ المعادين لها، وجرى دعم كلِّ الأفكار المُناقضة لرسـالتها. وفي الجانب العِلميّ، ظهرت أهمّيَّة الاكتشـافات الجغرافيَّة والصّناعة العسـكريَّة سريعًا، فجرى دعمها، والتَّرويج لها، واستثمارها في المجال التّجاري المدنيّ لتحقيق الأرباح، وقد "لعب علم السّـلاح دورًا هائلاً في الحـرب"[1]، باعتباره أصلاً وبداية. وفي الجانب الفِكريّ، أُطلق مصطلح التَّنوير على مرحلة برزت فيها جهود كُتَّاب في بناء نظريَّات جديدة للحياة، بعيدًا عن الكنيسـة ودعاواها. فأُسِّس «دين» جديد، يجعل الأخلاق في مرتبة دُنيا، ويرفع من شأن القانون، بوصفه أساسًا ضروريًّـا لكي تتمكَّن النُّخـب الحاكمة الجديدة من تطويـع المُجتمعات؛

1 - Geoffrey Jukes: The Second World War (5): The Eastern Front, P83.

فأصبح القانون الوضعي وسـيلةَ ضبط داخليَّة مهمَّة جدًّا، يشـجّع الخطاب العـام على ضرورة الالتزام به بكل تشـدُّد، وتشريع العُنف من أجل الحفاظ عليـه. أمَّا في العَلاقات الدَّوليَّة، فالقانون هو قـشرة خفيفة، يمُكن تجاوزها ببسـاطة؛ لأنَّ الأخلاق في العلاقات مع الآخر نسبيَّة، برأي هؤلاء؛ حيثُ إنَّ «الآخر» هو «الجحيم»، كما وصفه (جان بول سارتر -Jean-Paul Sartre). كانت نظريَّة نسبيَّة الأخلاق مسارًا مشتركًا عند المادّيّين عبر التَّاريخ؛ حيثُ ترى أغلب مدارس الغـرب أنَّ الاخلاق غير مُطلَقة في كل زمان أو مكان. فـما يصحُّ في مكان، لا يصحُّ، بالضَّرورة، في مـكان آخر. فالصّدق -وهو قيمة خُلُقيَّة مهمَّة- ضروريٌّ تحت قـوس المحكمة، والدَّعاوى القضائيَّة، أَمَّا في كلّ شيء آخر، فهو وجهة نظر، ما دام ليس "مُقونَنًا". ويؤسِّـس هذا الفَهم في العَلاقات الدَّوليَّة كارثة على مستوى الأمن والسّلم الدَّوليَّين.

المَبحثُ الأوَّل:
النَّظريَّات الليبراليَّة والواقعيَّة في العَلاقات الدَّوليَّة

هنـاك عدَّة نظريَّـات في العَلاقات الدَّوليَّة من المنظـور الغربي الحديث، أبرزهـا: النَّظريّـة الليبراليَّة والنظريَّـة الواقعيَّة. باختصـار، يمُكن توصيف هاتين النَّظريَّتين على الشَّكل الآتي:

١. **النَّظريَّـة الليبراليَّـة (Liberalism):** يُطلِـق عليهـا بعضهـم "النَّظريَّة المثاليَّة"، لكنَّها أبعد ما تكون عن المثاليَّة بالمعنى الفلسفيّ للكلمة؛ إذ إنَّ مُفـاد هـذه النَّظريَّة أنَّ السَّـلام مُمكن تحقيقه بـين البشر، وأنَّ الحرب يمُكن لها أنْ تنتهي من خلال آليَّة اسـمها "الأمن الجماعيّ"، التي تعنـي أنَّ الاعتداء على دولة ما، هو اعتداء على مجموع الدُّول. ومن خلال ترسيخ هذا المفهوم، لن تتمكَّن أيُّ دولة من العُدوان على دولة أخرى؛ لأنَّ النَّتيجة ستكون مكلفة جدًّا، وهي الاصطدام مع باقي دول العالم. هكذا تدَّعي النَّظريَّة، وسُمّيت بالليبراليَّة، رغم التباسات هذا المصطلح، كما سـبقت الإشارة إليه. ولكن يبقى السُّؤال المُهمّ، كيـف يمكن تطبيق الأمن الجماعيّ؟ كان الجواب من خلال التَّنظيم الدَّوليّ، أي إنشـاء مؤسَّسـة دوليَّة تحفـظ الأمن والسّـلم الدَّوليَّين، وهكـذا كان. فبـدأت تجربة عُصبـة الأمم سـنة ١٩١٩م بعد مؤتمر فرسـاي (Versailles Conference)، ثمَّ تجربة الأُمم المتَّحدة، التي بدأت بعد مؤتمر سـان فرنسيسـكو (San Francisco Conference) سـنة ١٩٤٥م، وبدأت عملها سـنة ١٩٤٦م. وتجدُر الإشـارة إلى أنَّ هنـاك جانبًا اقتصاديًّا في النَّظريَّة الليبراليَّة، وهو "الاعتماد المتبادَل"، الـذي يعني أنَّ تعاوُن الدُّول في التَّبادلات التّجاريَّة، من خلال المزايا النسـبيَّة للسّـلع والخدمات التي تُقدّمها، يُبعد احتمال الحرب؛ لأنَّ التُّجـار لا يتقاتلـون، كما تطرح الفكـرة. يحتاج تقويم هـذه النَّظريَّة

إلى مساحة ليست متاحة هنا، لكن يمُكن القول إنَّ تجربتي عُصبة الأُمم والأُمم المتَّحدة فشلتا فشلاً ذريعًا في تحقيق الأمن الجماعيّ؛ حيثُ استمرَّت النّزاعات في التَّصاعُد. لكن يبقى أنَّ تجربة المؤسَّسة الأمميَّة جيِّدة من ناحية كونها إطارًا لـ "النّقاش العام"، والتَّسمية هي لـ (أمارتيا سين -Amartya Sen)، في وصفه "للدّيموقراطيَّة". أمَّا القول إنَّ الدُّول التي تتبادل الفوائد التّجاريَّة لا تتحارب، فليس دقيقًا. فهناك فوارق هائلة في قدرات الإنتاج والتَّسويق، عدا عن كون الاقتصاد والتّجارة هما من أسباب الحروب.

٢. **النَّظريَّة الواقعيَّة (Realism):** تنفي إمكانيَّة التَّعاون الدَّولي في منع الحروب؛ باعتبار أنَّ المانع الوحيد لها هو القوَّة. بالنّسبة للواقعيّين، فإنَّ الحرب واقعٌ يجب الاعتراف به، والعمل بموجب ذلك. فالإنسان كائن لا يتوقَّف عن الحرب، والتَّاريخ هو الشَّاهد على ذلك. ويعترف ميثاق الأُمم المتَّحدة بأنَّ سبب وضعه يعود لأجل إنقاذ "الأجيال المقبلة من ويلات الحرب، التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانيَّة مرَّتين أحزانًا يعجز عنها الوصف."[١] ما الحلُّ بالنّسبة لشعبٍ يريد حفظ أمنه؟ الحلُّ هو من خلال نظريَّة

١ - الديباجة، ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٧.

أخـرى، أي «تـوازن القوى»، التـي تعني أنَّ الـذي يمنع الآخر من الاعتـداء عليك، ليس مجلس الأمـن أو توافُقات بعض الدُّول، بل امتلاكك لقوَّة رادعة، أنت أو بالتَّحالف مع دُول أخرى.

انتشرت هذه النَّظريَّة في أوسـاط الغربيّين، ولا سـيَّما الأميركيّين، وبرزت أسماء مثل: (هانز مورغنثاو -Hans Morgenthau)، و(زبيغنيو بريجنسكي -Zbigniew Brzeziński)، و(هـنري كسـينجر -Henry Kissinger)، وغيرهـم ممَّن نظَّـروا لهذه الأفكار، التي هي ليسـت جديدة بالمناسـبة. فمنذ بداية البشريَّة، خرجت أصوات كثيرة عدَّت القوَّة والسَّيف الوسيلتين الوحيدتين لتحقيق الأمن والمصلحة.

المَبحثُ الثَّاني:
لبيراليَّة الخطاب الحقوقيّ وسياسة القوَّة

بالغ الغرب في اسـتخدام الخطاب النَّاعم على مستوى المنابر والشَّاشات أكثر مـن أيّ إمبراطوريَّة حكمـت العالم، في تناقُض حادّ مع اسـتخدامه الأدوات الصُّلبـة عـلى مسـتوى السّياسـات الفعليَّة؛ والسَّـبب في ذلك واضـح، وهو تطوُّر وسـائل الاتّصال والتَّأثـير في الآخرين، خصوصًا بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثَّانية عام ١٩٤٥م.

إنَّ الخطاب، بما يعنيه من نصوص ورموز مرافقة، بات ينتقل عبر العالم بطريقة لَحظيَّة، وتملأ الصُّور والأصوات والعقول والقلوب. ففي يد أغلب البشر اليوم مادَّة مكثَّفة، بصريَّة وسمعيَّة وغيرها، تنقل خطاب الغرب، فتمتلئ الدُّنيا بقِيَمه الخاصَّة، وهو ما يجعل من الصَّعب مواجهتها، مع سيطرته على أصول المؤسَّسات، وبراءات الاختراع، وإمكانات البحث والتَّطوير، واحتكار التكنولوجيا. فالتَّحدّي كبير فعلاً، ونحن في مرحلة انتقاليَّة، ينتقل فيها الغرب إلى عصور مُظلمة جديدة، لكنَّه يعيد إنتاج نفسه بسبب تقصير الآخرين في صناعة البدائل إلى الآن.

تُعتبر لغة القانون، لغةً بيضاء يفهمها الجميع. لذلك، هو سلاح لإحقاق الحق أو لحرفه. وهو وسيلة خطيرة لقمع المجتمعات، لا سيَّما إذا كانت قوانين وضعيَّة مُشوَّهة ومجعولة لصالح الطَّبقات المهيمنة وإدامة مصالحها. من هنا، تسهُل ملاحظة نوع الخطاب العام الذي يعتمده قادة الرَّأي الغربيُّون تجاه مجتمعاتهم وتجاه الآخرين، وهو خطاب ذو خلفيَّة حقوقيَّة، لطيف في أغلبه، ومقنع لأكثريَّة المجتمع.

لم تؤدِّ الليبراليَّة بالمجتمعات إلَّا إلى نقيض معناها الحرفيّ؛ حيث فقد البشر حرِّيَّاتهم الجوهريَّة، وبقي لهم حرِّيَّاتهم الصُّوريَّة، فباتوا محكومين من منظومات اقتصاديَّة ورقميَّة وماليَّة تُسيطر على حياتهم، وتخضعهم لمقتضياتها ومتطلَّباتها.

المَبحثُ الثَّالث:
نسبيَّة الأخلاق في السّياسة الدَّوليَّة

إنَّ ميـدان السّياسـة الدَّوليَّة، اليـوم، هو القوَّة. كُن قويًّا، وافعل ما شـئت. ليـس هناك خيارات، فإمَّا أنْ تكون قويًّا وقادرًا، وإمَّا أن تُسـحق. فالرَّحمة سلعة فرديَّة داخل المجتمعات، وفي البرامج الاجتماعيَّة، أمَّا في العَلاقات الدَّوليَّـة، لا يوجد رحمة. فـ «المُلـك عقيم»، كما شرح (هارون العباسي) لنجلـه، واحتماليَّة فقدان السَّـيطرة قائمٌ دومًا. أنْ تكـون مُهابًا، كما عرض (مكافيللي) في كتابه «الأمير»، أفضل من أن تكون محبوبًا. القوَّة، عند اللا دينيّـين، هي كلُّ الحقيقة. القوَّة العسـكريَّة والماليَّة قبل كلّ شيء، بل هي كلُّ شيء.

مـن هنا، تُعتبر الأخلاق في السّياسـة الدَّوليَّة ادّعـاءات يلقيها الحُكَّام من وراء الشَّاشات. في بعض المدارس الدبلوماسيَّة، هناك مقولة على الشَّكل الآتي: في المؤتمـر الصحـافي، كل ما تقوله كذب، وكل مـا يقوله نظيرُك كذب. قد يبدو أنَّ هذه نظرة تشاؤميَّة للواقع السّياسيّ، وأنَّ المنابر لا تخلو من صادقين وأصحاب مواقف. بالتأكيد لا تخلو، لكن هكذا تسير الأمور. من أجل إعادة الأمر إلى نِصابه الحقيقيّ، لا بُدَّ من ملاحظة تذكيريَّة، وهي أنَّ السّياسـة هي أشرف مَهمَّـة قد يقوم بها الإنسـان؛ إذ إنَّ فنَّ الحكم هو

أخطـر الفنـون، لذلك جنَّد الله -تعالى- لها أنبيـاءه ﷺ. في الأصل، كان ينبغي أن يقود المعصومون المجتمعات البشريَّة، ومن أفضل منهم لذلك؟ هكذا اسـتنتج (جان جاك روسـو -Jean-Jacques Rousseau) يومًا، بأنَّ النَّاس لا يُحكمون إلاَّ من معصوم، لكنَّه بحث ولم يجد. إنَّ السّياسة عمل عظيـم، لكنَّ مغرياتها هي الأعلى، فأسـاء البشر حكم أنفسـهم كثيراً. ولا يمُكن أن تَصلُح السّياسة إلاَّ بمعصوم أو من يعصم نفسه.

الفَصْلُ الثَّاني:
الأخلاق السّياسيَّة المُطلقة في الإسلام

بُعِث (رسول الله) ﷺ ليُتِمَّ مكارم الأخلاق، وهنا، لا بُدَّ من ملاحظة يُغفَل عنهـا عادةً، وهي أنَّ الأخلاق في الإسـلام فقهٌ. فهي ليسـت مجرَّد قواعد حياة يُفضَّل الالتزام بها، ومن يحترمها يكون مسـتحقًّا للاحترام. وإنَّما هي أحـكام تكليفيَّة، أي تتعلَّق بأفعال الإنسـان وتتوجَّه إليه مباشرةً، وتعالجها الشَّريعـة، فتتوجَّه إلى الأشـياء التي تتعلَّق بها بدرجـة الإلزام أو دونها، أو تَزجـر عنها بدرجـة الإلزام أو دونها، أو تُفسـح في المجال للمكلَّف لكي يختار الموقف المناسب منها.

عند الماديّين، الأخلاق هي قواعد اجتماعيَّة غير ملزِمة وغير مرتبطة بجزاء، إلَّا أنْ تتحـوَّل إلى قاعـدة قانونيَّة. وهذا فهم خطير، وله نتائج واضحة عبر التاريـخ. فالأمانـة والوفاء والصّدق والكـذب والغيبة والبُهتـان والافتراء وغيرها هي مجرَّد وجهات نظر، من يعتنقها في حياته يُحبُّه النَّاس، ومن لا يراعيها يتحمَّل نتائج ذلك، أو ربما يعدُّها مهارة اجتماعيَّة تخدُم مصالحه. أمَّا في الإسـلام، فالأخـلاق تتَّصف بالإلـزام أو الزَّجر، بحسـب تعريف

الأخلاق من حيث شمولها الصّفات الحسنة والقبيحة معًا، أو فقط الحسنة منهـا، مع تفصيل شرعيّ مسـتقلّ تعرضـه الكتب الفقهيَّـة. فالموقف من الكذب، مثلاً، جليٌّ، والصدق منجاة، مع وجود اسـتثناءات تُجيز الكَذِب في حـالات محدَّدة، كإنقاذ نفس محترَمَة أو مال محترَم وما شـاكل. وهذا يُشـير إلى صلاحيَّة الشَّريعة الإسـلاميَّة ودقَّتها وإحاطتها بـكلّ الظُّروف. يجهل أغلب النَّاس أنَّ لكل واقعة حُكم، وأنَّ الله -تعالى- لم يترك تفصيلاً إلاَّ وفيـه حُكم تكليفـيّ. إنَّ معرفة فقـه الأخلاق وتعميمـه والتَّأكيد على أهميَّتـه أمـرٌ ضروريٌّ للنُّهوض بالمجتمـع الصَّالـح، وإنَّ إغفالها يُصيب المجتمع بأعراض جسـيمة، وتؤدّي به إلى «علمنتـه»، رغم ظاهره الدّيني على مستوى الصُّورة.

هنـاك أنـواع للتَّديُّن على المسـتوى الاجتماعـيّ، ولا نقصد البتَّـة النَّظرة السوسيولوجيَّة الشَّائعة للأديان التي تتعامل معها بوصفها ظاهرة من فوق، ولا نقصد فكرة التَّعدُّديَّة الدّينيَّة بالغة التَّبسيط؛ لأنَّ الأديان متغايرة، وهناك تعريفـات متعـدّدة لما هو دين. وعـلى أي حال، هناك التَّديُّـن الحقيقيّ، وهناك التَّديُّن الصُّوريُّ، والتَّفريق بينهما سـهل. فالأوَّل يعني قيام المؤمن بكل تكاليفه الدَّينيَّة، وتوسـيع مسـاحة الحُكم الشَّرعيّ ليشمل كلَّ حياته، ومنها جوانبها السّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وغيرها. أمَّا التَّديُّن الصُّوريُّ، فيعلَـق في القشـور، ويُراعي قضايا صوريَّة وشـعائريَّة، يكـون فيها عامل العادات والتَّقاليد مؤثّرًا عادةً.

إنَّ الأخلاق في الإسلام هي قِيَم فرديَّة، وأُسريَّة، واجتماعيَّة، وسياسيَّة، ومعاملتيَّة، وجهاديَّة و... ومن هنا، قد يبرز معنى أنَّ دور (رسول الله) ﷺ هو إتمام مكارم الأخلاق؛ لأنَّها تُحيط بجوانب سلوك الإنسان، ولا تغفل عن أيٍّ منها. نعم، الخلل هو لدى المكلَّفين والنُّخب، الذين لا يلتفتون إلى معنى الأخلاق في الإسلام، وحساسيَّة موقعها فيه، واختلاف فَهمها عن باقي المنظومات الفِكريَّة التي تتعرَّض كلّها، وبحسبها، لقضيَّة الأخلاق.

المَبحثُ الأوَّل:
مُوجَب الالتزام بالاتّفاقيَّات في العَلاقات الدَّوليَّة

إنَّ المؤمنين عند عهودهم، والوفاء بالعقود أمر تكليفيٌّ؛ فإذا وعد مسلمٌ أحدًا ما بشيء مُعيَّن، فعليه أنْ يُنفّذ ما وعد به. إنَّ تراضي المسلم مع غيره على أمرٍ ما، والتزام فعله، لهو عقد ينبغي عدم الإخلال به. وهكذا هي العَلاقات الدَّوليَّة، التي تقوم، راهنًا، على الاتّفاقيَّات والمعاهدات وبروتوكولات التَّعاون؛ فعلى القائد المسلم أن يتحرَّى كثيراً عن كلّ عقد يُوقّعه، وأنْ يفي بما فيه من مُوجبات، بما ينظّمه الاتّفاق.

هذا أمرٌ مهم، فالسلوك الغربيّ في العَلاقات الدَّولية ليس بهذه الصورة.

نعـم، هناك دائمًا لوائح طويلة من الاتّفاقـات وأُطر التَّعاون التي تُعلَن، وتُوقَّـع ويُصدَّق عليهـا، لكن تعلوهـا مصالح الأقوى. ففـي النُّموذج الفِكـريّ القائـم في الغرب، لا بُدَّ مـن أنْ تملِك مُسدَّسًـا كي يُتحدَّث عـن القانون، ولا يُمكـن أن يكون للأخلاق قِيمـة، إلَّا إذا كان الطرفان عاجزيـن عن إيـذاء بعضهـما بعضًا. أمَّـا إذا لم تكن تملك مُسدَّسًـا، فالحقيقة سـتكون بيد الطَّرف الآخر، وسيُصفّق الرِعاع لذلك، وسيكون الثَّمن حياتك.

إنَّ الليبراليّين الغربيّين هم أكثر تحفُّظًا تجاه السُّلوك السّياسيّ العَلني الفظّ، أمَّا اليمين وبقايا اليسار، فهم الأكثر شراسة حينما يتعلَّق الأمر بمصالحهم، والأكـثر تعبيرًا عنهـا بوقاحة. والحكم على قادة الغـرب يكون أدقَّ عندما يبـدؤون في فقـدان ميزة القـوَّة، فتتراجع ثقتهـم في قدراتهـم، ويُظهرون حقيقتهـم. فبعض المتأثّرين بالغرب وبغيره مـن الأقوياء ماديًّا، يتفاجؤون عند سـماعهم موقفًـا غربيًّـا عُدوانيًّا، ويـبرّرون له، أو يصمتـون. عندما نتحدَّث عن الغرب، فنحـن لا يعنينا هو، باعتباره مجموعة دول وقوميَّات تقطن في الشَّـمال الغربي من اليابسة، بل هو مثالٌ معاصر يشبه في سلوكه أداء طُغاة التَّاريخ.

اليوم، ومنذ خمسـة قرون من الزَّمن، يسـجّل العالم نمطًا متكرِّرًا من خرق العهود مـن حكومات الغرب. فهـم خدعوا الشُّـعوب واحتلُّوها ونهبوها تحت مُسمَّىً لطيف هو «الاسـتعمار»، فقتلوا خمسين مليون إنسان، وفق

بعـض التّقديـرات، وربمَّا أكثر، لو احتسـبنا كامل ضحايـا المجازر التي طالت السُّـكان الأصليّين في أمريكا. وسرقوا ثروات الشُّـعوب، وليسـت إفريقيا ببعيدة. ورغم تحيُّز وسائل الإعلام، التي يُسيطر الغرب على روايتها للأحـداث، وما يتمُّ إبـرازه، وما يُهمَّش، فإنَّ قادة الغـرب لا يتورَّعون عن قلب الحقائق، ودعم الدكتاتوريَّـات، واتّهام غيرها بالدكتاتوريَّة. إنَّ إعلام الغـرب ذو قالب مهنيٍّ، دون أن يكون مهنيًّا، وهو يفقد ما تبقَّى من غلاف المهنيَّة عند احتدام الصّراعات وضغوط المُموّلين. ومن السَّـهل ملاحظة كيـف يقف قائد غربيٌّ أمام الشَّاشـات، ليقول ما كان يُصرّح بعكسـه قبل فترة. وتجد النُّخبة المُثقَّفة ومجتمع الجامعات يُبرّر لما يجري، ويقمع كلَّ صوت اعتراضيٍّ مؤثّر فيه. فحرِّيَّة التَّعبير في الغرب مرتبطةٌ بعدم المؤثّريَّة، ومتى زاد تأثير أيّ شخص أو مؤسَّسة أو دولة في الرَّأي العام، تُفرَض عليه قيود استبداديَّة أو يُعاقَب.

على خلاف السُّـلوك السّياسي لأغلب اللا دينيّين، الذي يسهُل عليه نكث العهود لأيِّ سـبب، فإنَّ الأداء السّـياسيِّ للمسـلم الحقيقيِّ لا يسـمح له بذلك. طبعًا، يصحُّ هذا الأمر مع منْ تكون عقيدته السّياسـيَّة سليمة، وهي عين دينه. أمَّا من يفصل، فعليًّا، بين إسلامه والدَّولة، فهو دينيٌّ في ما يتعلَّق بالظَّاهر، ولا دينيّ في ما يتعلَّق بالسّياسـة، فيجري عليه حكم اللا دينيّين. من هنا، ثمَّةَ ممارسة سياسيَّة إسلاميَّة أصيلة تَحولُ دون انتهاك الاتّفاقات، وأنْ لا يُعـدَّل أيُّ التزام إلَّا بالتَّوافُق بين الأطراف، كما الحاصل في العُقود

اللاَّزمة في باب المُعاملات.
في التَّاريخ ما قبل النَّبويِّ، وقَّع (عبد المطَّلب) مع (خُزاعة) وغيرهم حلف الفَضول، واستمرَّت مفاعيل هذا الحلف إلى مرحلة النَّبيِّ ﷺ، وصولاً إلى مترتِّبات ما بعد فتح مكَّة؛ حيثُ حُفِظ لـ (خُزاعة) حقّها في التَّمايز والحماية، في دلالة مُهمَّة وتاريخيَّة على أهمّيَّة الالتزام بالعقود والاتّفاقات. وفي عهود المدينة، بعد الهجرة، التزم الرَّسول ﷺ بها، وأخلَّ اليهود في أوَّل فرصة بعد معركة الأحزاب، الأمر الذي أوصل إلى خيبر وما جرى. وفي تحكيم صفِّين، التزم (الإمام عليٌّ) عليه السلام بابتعاث (أبي موسى الأشعري)، وأخلَّ (معاوية) و(عمرو بن العاص) بما اتُّفق عليه. وهكذا فعل (معاوية)، فما أسرع ما انقلب على اتّفاقه مع (الإمام الحسن) عليه السلام، وهكذا دواليك. وقبله في صُلح الحديبيَّة، التزم المسلمون بما عليهم، رغم التَّمرُّد الذي قاده بعض الصحابة على النَّبيِّ ﷺ، وفَرَضَ -أيّ النبيّ ﷺ- إعادة البيعة تحت الشَّجرة، في رسالة عميقة إلى أنَّ بعض الصَّحابة لا يفهم نتائج ما يُفضي إليه الالتزام باتّفاق ذكيٍّ.
تنصُّ رُوايات الظُّهور المبارك على وجود هدنة بين (الإمام المهديِّ) عليه السلام والرُّوم، لكنَّهم ينكثون بها بعد حين. فيستحقُّون العقوبة بعد ارتفاع الالتزام بالهدنة. هكذا كان الحال سابقًا، وهكذا يُعاد، والخاسر فيها هو قوَّة الباطل.

المَبحثُ الثَّاني:
لوفاء قاعدةٌ ملزِمة في الأخلاق السّياسيَّة

استكمالاً لما ورد أعلاه، تبرز قِيمة الوفاء عند القائد المسلم، وهي قيمة ضعيفة لدى غير المتديّنين إجمالاً. للتَّنبيه، عندما نتحدَّث عن غير المتديّنين، فنحن لا ننفي وجود أفراد متمايزين بقيَمهم، التي تُشبه القِيَم الدّينيَّة، لكنَّهم أقلِّيَّة، خصوصًا تحت الضَّغط. إنَّ قُدرة الإنسان العَقَديِّ على الثَّبات تحت الضَّغط لا مثيل لها. وتزداد هذه القدرة عندما تكون عقيدته دينيَّة، وتعلو كثيراً عندما تكون على طريق الحقِّ. هذه ميزة يعرفها المُلمُّون بالسّياسة والحروب، ويقوم القادة بالاستفادة منها، أو يعملون على صناعة عصبيَّة محفِّزة للقتال، أو يخلقون عدوًّا يوحِّد الأمَّة خلفه.

إذا وعد القائد المسلم الحقيقيُّ وفىَّ، ويمكن للآخرين الرُّكون إلى وعده. وهو لن يخلَّ بوعده قبل الوقوف عند خاطر الموعود؛ لأنَّه يعتبر الأمر مرتبطًا بوجوده. بالنّسبة للماديّين، يصعُب عليهم فَهم هذا الأمر، ويستغربون استمرار الوفاء عند أهل الإيمان، وهم قد فرضوا عليهم عقوبات وحروبًا من أجل التَّراجع عنها، دون جدوى. إنَّ الإصرار على احترام الوعد هو قِيمة خُلُقيَّة رساليَّة مهمَّة جدًّا، تُعبرّ عن قِيَم الإنسان المؤمن، واستعداده لعدم التَّراجع عن وعده السّياسي، وتحمُّله الضُّغوط من أجل ذلك.

أصـل هذا الالتزام علو كعب القواعد الخُلُقيَّة في التَّربية الإسـلاميَّة، وقوَّة الإلزام بها في الشَّريعة؛ فيقوم القائد المسـلم بمـا عليه، ويتحمَّل النَّتائج، فيكسـب كثيراً من الاحترام، ويكون الأمر جاذبًا إليـه لصدقه، ودعوة إلى الدّيـن الحنيف بغير لسـان. أمَّا في حسـاب الأرباح والخسـائر المادِّيَّة، فالتَّسـديد واللُّطف الإلهيَّان كفيلان بنعمة التَّوفيق؛ حيثُ تكون السّياسـة بأداء التَّكليف، والنَّصر لا يكون إلَّا من عند الله العزيز.

المَبحثُ الثَّالثُ:
السّياسة الشَّرعيَّة بين المبدئيَّة والمصلحة

هنـاك صراعٌ كبيرٌ بين أن تكون الحكومة الإسـلاميَّة مبدئيَّة، وبين أن تُعلي شأن مصلحة الأُمَّة الظَّاهرة. فما هو الميزان السَّليم بين قداسة المبدأ، وبين ضرورات المصلحة؟

سـيأتي ذكر فقه الأولويَّات لاحقًا، لكن هنا، وفي باب الأخلاق الإسلاميَّة في العمل السَّـياسيِّ، يكون الإصرار على المبدأ ذا أهمِّيَّة قُصوى، لا سيَّما إذا كان المبدأ يشكّل أولويَّة شرعيَّة رفيعة. إنَّ تعرُّض المسلمين لهجوم من كافر حربيٍّ، يسـتلزم إنقاذ هذا الشَّـعب ونُصرته بالوسـائل المتُاحة، وبذل الممكن لتحريره من الاعتداء. مبدأ الجهاد هنا مُهمٌّ، وليس متاحًا تجميده

أو رفعه بسهولة. إنَّ أهمّيَّة الحياة الإنسانيَّة وحقَّ الأمن هي من الضَّرورات الأُولى في حقوق الإنسان والشُّعوب. فيقوم المسلم بواجبه، ويتعاطى السّياسة لحماية خياره الجهاديِّ.

هنا تبرز المرتبة العالية والمُهمَّة لوجود الوليِّ العادل والحكيم، الذي يُشخّص الأولويَّات، ويشرح المطلوب لحماية بيضة الإسلام، ورعاية المسلمين والمستأمنين. والجدُّ في تحصيل المطلوب ليس تصلُّبًا عقديًّا أو ثوريًّا، ويجب عدم التَّجاوب مع دعاية الأعداء، التي ستكون مكثَّفة ومستمرَّة بالتَّأكيد. فالمهمُّ هو أداء التَّكليف مع غضّ النَّظر عن قُرب تحقُّق النَّتيجة المرغوبة من عدمها. لكن من الواضح أنَّ هذا الأمر سيكون له أعداء من المُقرَّبين والبعيدين، فالعدل صعب في عالم الدُّنيا، وما أكثر رافضيه. لذلك، يَقتضي حُسن الإدارة تخصيص موارد وافرة للعمل الإعلاميِّ الهادف الذي يشرح للجمهور ما الذي يجري فعلاً، بعيدًا عن التَّضليل.

في المُقابل، ماذا لو تزاحمت المبدئيَّة أو تعارضت مع مصلحة أعلى منها، مثل احتمال القتل والضَّغط الكبير؟ هذه هي السَّياسة الدَّوليَّة، في زمن الماديِّين؛ إذ إنَّهم في حالة هجوم وتوتُّر مستمرّين. الأصل هو الثَّبات على المواقف الصَّحيحة، لكن مع تغيُّر موازين القُوى بوجه حادٍّ تتقدَّم أولويَّات أخرى، وهذا بديهيٌّ. هنا نعود للحاجة إلى الفقيه السّياسيِّ الذي يُحدّد التَّكليف من فوق، بناءً على معطيات الأرض. حينها، يكون الإنسان

المؤمـن مبرأ الذّمَّة في عمله، وقد اسـتفرغ وسـعه في القيـام بما ينبغي. لكنَّ هذا لا ينفي أهمّيَّـة تحديد الخطوط الحمراء التي يمُنع على الأعداء والخصـوم تجاوزهـا، كـما لا يمنع حُسـن إدارة العمل السّـياسيِّ بذكاء، وتخفيف الخسائر، وصناعة خطاب صادق بلغة إعلاميَّة مدروسة، وانتظار تغيُّر الظُّروف؛ لأنَّ المبدأ لا يتغيَّر.

في الواقع، فشـلت حركات «إسـلاميَّة» معاصرة في هذه الموازنة الصَّعبة، وقدَّمـت التَّمكين على اتّخـاذ خُطُوات أخرى في زمـن تَتالي المؤامرات. فالقيادة الصَّالحة تسـتطيع العمل بين ألغام الفُرص والتَّحدّيات والمخاطر والتَّهديدات، وتحفظ نفسـها بالمثابرة السّياسـيَّة، مع تحمُّل أثمان النَّصر والإنجاز، وإقناع الجماهير بقدرتها على إدارة البلاد.

الفَصلُ الثَّالثُ:
فِقه الدّبلوماسيَّة

إنَّ الصُّورة العامَّة التي يحملها المجتمع عن نبيٍّ أو إمام هي صورة الإنسان الطَّاهــر المظلوم. هذه الصُّورة صحيحة في جانب منها، فهم أُوذوا وابتُلوا كثـيراً، ولم تقبل مجتمعاتهم عدلهم. لكــنَّ ثمَّة صورة أخرى، وهي صورة المعصوم الحاكم أو المعصــوم الملك. هذا المفهوم أضعف في حضوره في الأذهان، بينما الواقع يُشــير بوضوح إلى أنَّ أنبياءً مارسوا السّياسة، مثل (آدم) و(نوح) و(داوود) و(ســليمان) و(يوســف) و(محمد) عليهم السلام. كذلك، مارس (الإمام عليٌّ) عليه السلام ونجله (الحســن) عليه السلام الحاكميَّة السّياســيَّة. هذه التَّجارب، وما يمكن أنْ يُستخلَص منها، تُشير إلى أنَّ الاتصال مع الشُّعوب والحكومات الأخرى أمرٌ قائم وحصل مِرارًا.

من أشهر حالات العمل الدّبلوماسي النَّبوي هو مراسلة الملوك. فقد أرسل النَّبيُّ صلى الله عليه وآله، كما هو معروف، رســلَه إلى الملوك المعروفين في زمانه، داعيًا إيَّاهم إلى الإســلام. إنَّ قيام الرسول العظيم صلى الله عليه وآله بالتَّواصل مع قادة العالم لهــو أمر لافت ومعبّر. وقد اختلفت اســتجابات هؤلاء لرســل النَّبي عليه السلام،

فـ (كسرى) مزَّق الكِتاب، وأمر عامله على اليمن (شاذان) بالإتيان برأس النَّبي ﷺ، وكان جوابه أنَّ (كسرى) سيسقط كما مزَّق الكتاب، فتمهّل (شاذان)، وفعلاً، انقلب (شيرويه) على أبيه، ثم فُتحت فارس. أمَّا (هرقل)، عظيم الرُّوم، فاستجابته لرسالة نبيِّ الإسلام لافتة، في دلالة على تخوُّف هؤلاء الأباطرة من هذا الدّين الجديد القادم من الصَّحراء ورجاله الفرسان المصمِّمين. فهو أكرم ضيفه، وأمر له بمكان للرَّاحة، ثمَّ أسلم كبير أساقفة (هرقل)، فقُتل، وفي ذلك مؤشّر إلى قوَّة الرّسالة الإسلاميَّة وأثرها على العقول والقلوب. أمَّا (المُقوقس)، ملك مصر، فردَّ بالهدايا. في المقابل، أسلم (النجاشي) ملك الحبشة، وواجه ما واجه من مصاعب إلى حين وفاته؛ حيثُ أكرمه النَّبيُّ ﷺ إكرامًا عجيبًا.

تلك هي الدّبلوماسيَّة النَّاعمة، المُرفقة برسالة قوَّة مُضمرة، إلى قادة بلاد الكُفر في ذلك الزَّمن. وهي تنمُّ عن عالميَّة الإسلام، وعدم انحصاره بمكان أو زمان محدَّدين. بالتَّأكيد، احتاج الأمر إلى رسل شُجعان، ضحُّوا بأنفسهم في مَهمَّة خطيرة غير مضمونة العواقب. فالعَلاقات بين الدُّول كانت غير وديَّة بالضَّرورة؛ حيث الجغرافيا تفرض شروطها في العيش والانتقال، مع قلَّة الموارد، وكثرة الصّراعات.

في الأصل، كرَّم الله -تعالى- بني آدم، وكانت النَّظرة إلى الآخر الدّيني، من منظور الإسلام، غير صِداميَّة، بل كانت بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وهذا ما لاحظناه في نمط الحوارات بين

المعصومين وغيرهم من نُخب الأديان والشُّعوب الأُخرى، كما في حادثة المباهلة وغيرها. فالأصل هو استيعاب الآخرين، والتَّعاطي معهم تحت سقف الشَّريعة السَّمحة. حتَّى مفهوم «أهل الذِّمَّة»، الذي يُهاجم اليوم دون علم، فهو مرتبةٌ تكريميَّة، بأنَّ غير المسلمين هم في ذمَّة المسلمين، من خلال التَّعهُد بالرّعاية والحماية. أمَّا مفهوم «الجزية»، فيبدو موازيًا منطقيًّا لموجب الخُمس والزَّكاة المفروض على المسلمين. فالذّميَّة هنا هي المُواطَنة الصَّحيحة، وليس صِدامًا مع الآخرين.

في العمل السّياسي، ولا سيَّما في العَلاقات السّياسيَّة، من منظور إسلاميّ، لا بُدَّ أن يكون مسار الأمور متوافقًا مع موجبات الشَّريعة. فهناك مبادئ وضوابط، وقبل كل شيء، هناك مفهوم التَّقوى السّياسيَّة، وهي تعني مراقبة النَّفس في عملها السّياسي، والحذر من أي تسلُّل للنَّفس الأمَّارة وللشَّيطان. فالسّياسيُّ المؤمن يكون شديد الالتفات لنفسه، كي لا تقع في مهالك «أناه» وحب السُّلطة والجاه، والتَّأثُّر بخفق النّعال خلفه، وتصدُّر المجالس، وكثرة المديح. إنَّ التَّقوى السّياسيَّة تفرض -في حال الانتخابات، والترَّشُّح إلى موقع مُهمّ في الدَّولة، مع إمكانيَّة فوز مضمونة- أن يقوم المرشَّح بالانسحاب منها، لصالح خصمه، إذا علم أنَّه أصلح للموقع، حتَّى وإنْ كان في الأمر ضررٌ على المرشَّح نفسه. ما أندر هذه الصفة، وما أصعبها، وكم هي الحاجة كبيرة لحُسن التَّعامل مع الطُّموح إلى المواقع المؤثّرة.

عالم الدّبلوماسيَّة هو عالم العَلاقات، والعَلاقات مقدِّمة للوجاهة والمال. لذلك، هي عمل خطير على الأمن الرُّوحي للإنسان. هذا عدا عن مخاطرها الأمنيَّـة؛ لأنَّ الدّبلوماسيَّ، رغـم صفته المدنيَّة، هو ناقل رسـائل التَّحذير والتَّهديد، وهو من يمتلك معلومات دقيقة. فيحتاج الأمر إلى مناعة نفسـيَّة وشـجاعة وتعفُّف عـن المال الحرام أو المُختلط بالشُّـبهات واسـتغلال النُّفـوذ. ويتعرَّض الدّبلومـاسيُّ، خصوصًا إذا علا موقعـه، أو كان ينتمي إلى حكومة قويَّة، إلى شـتَّى أنواع الترَّغيـب والترَّهيب، وتبرز أمامه فرصٌ شخصيَّة عِدَّة، ويلتقي بمشارب أخرى من دبلوماسيّين ذوي ألسنة عليمة. فتكون المبارزات الكلاميَّة، والتي تسـتبطن وراءها كثيراً من الرَّسـائل غير المحبَّذة، حاضرة، وهو ما يتطلَّب إعداد رجال تفاوض كفوئين، خصوصًا مع تطوُّر تقنيات التَّفاوض والتَّواصُل السّياسي والتَّسويق.

مع هذا النَّوع من المَهام، يكـون لزامًا على الدّبلوماسي المؤمن أن يتمتَّع بتقوى شـخصيَّة وسياسـيَّة رفيعـة، وأن يكون قـادرًا على تحقيـق مَهامه المطلوبة، وسـط غابة من وحوش الأرض، المتعطِّشـين للدّماء والأموال والسُّـلطة. وخلـف كلِّ دبلومـاسي -يقـول (ريمـون آرون Raymond-Aron)- يوجـد جنـديٌّ يُصـوّب بندقيَّته نحـو المفاوض الآخـر. فالقوَّة هـي الوجه الآخر للدبلوماسـيَّة الفاعلة، وقـوَّة الأداء التَّفاوضيِّ هو شرط محوريٌّ للمؤمنين في هذا العالم؛ حيث أصبحوا أكثر قوَّة، وأكثر مظلوميَّة في الوقت عينه.

المَبحثُ الأوَّل:
أهمّيَّة تكثير الأصدقاء الدَّوليِّين

ألـفُ صديقٍ قليل، وعدوٌ واحد كثـير. وما ينطبق على الأفراد، ينطبق على الجماعات. فالتَّكثير من الأصدقاء أصلٌ حكيم في العَلاقات مع المجتمع والشُّـعوب. أمَّا الماهرون في صناعة الأعداء، فلا مكان لهم سـوى العُزلة ودوام العـداوات. فعلى المرء أن يسـعى لامتلاك المهـارات الاجتماعيَّة لزيـادة عدد معارفـه، وهو قد يحتاجهـم وقت الضّيق، وسـتزيد احتماليَّة مواسـاتهم له في أزماته. وعندما ننظـر إلى أولئك الذين يواجهون الموت في آخر لحظات حياتهم، فإنَّ ما يطلبونه أوَّلًا ليس مالهم أو سـلطتهم، بل هم يطلبون حضور أحبابهم.

في العَلاقات الدّبلوماسيَّة والشَّعبيَّة، يكون من المُهمِّ إطلاق برامج وورش تدريب وعمل تسـمح ببناء شـخصيَّات وعَلاقات فاعلة، تكون قادرة على بنـاء الصَّداقـات سريعًا، والأهمّ هـو الحفاظ عليها، بمـا يتطلَّبه ذلك من موارد مسـتمرَّة وإرادة دائبة. فممَّا لا شـكَّ فيـه أنَّ الحفاظ على العلاقات العامَّـة وتطويرها يلزمه المداومة عـلى متابعتها ومواكبتهـا، وبذل الجهد المستمرّ في الاهتمام بها.

بـين أصحاب (الإمام المهديِّ) عليه السلام الخُلَّص، نلحظ صفات لافتة. فهم لا

يعرفون بعضهم بعضًا حين يجتمعون في مكَّة، لكنَّهم سُرعان ما يُصبحون كأنَّهم أبناء أبٍ واحد وأمّ واحدة. فالرُّوح مشتركة، وهي من سِنخيَّة روح المعصوم. وهؤلاء لا تضرُّهم الفتنة أبدًا، ويشتركون في صفات الطَّاعة والإيمان والشَّجاعة والعلم.

يشترط التَّمهيد للحجَّة عليه السلام، بمعناه الجماعي والمجتمعي، اللَهج باسمه، وتذكير النَّاس برسالته، والتَّواصل مع الجميع بشأنه. صحيحٌ أنَّ الله أخفى أوليـاءه في عبـاده، وأنَّ أعمق أسرارهـم هي علاقتهم مـع ربِّ العالمين، لكنَّهـم في الوقت نفسـه اجتماعيُّـون جدًّا، وسـيقودون المجتمعات بعد تحريـر الأرض. لذلك، يُتوقَّع أنَّ لديهم مهـارات تواصُل فعَّالة، يعضدهم فيها أنَّ سيّدَهم يملك أكمل المهارات كلّها.

في دولة الإمام عليه السلام، سـتتوحَّد شـعوب الأرض، وسـيظهر الإسـلام على الدّيـن كلّه، وسـيدخل كثـيرون إلى الدّيـن الحنيف. ومن خـلال نظريَّة الأسـباب. يبدو جليًّا أنَّ تحقُّق هذه الأهداف الكبيرة يتطلَّب قدرات هائلة. لا بُدَّ من اسـتيعاب الجميع، وهدايتهم إلى جادَّة الحق، مع ما يتطلَّبه ذلك من مهارات تواصل ودبلوماسـيَّة كبيرة، ووسـائل إقناع لا يتوقَّف نشاطها. فالمَهمَّـة صعبة ولا يمُكـن التَّقليل منهـا، والمخاطر جسـيمة، والأعداء انهزمـوا قبل وقـت قليل، ولا زالت النُّفوس مشـحونة، بينما الأمل هو في تماميَّة العدل والقسـط. من هنا، يكون الوجه الآخر لهذه المَهمَّة هو تقليل الأعداء، وهو ما يلعب نزول (السيد المسيح) عليه السلام دورًا واضحًا فيه؛ حيثُ

يجول بين الشُّعوب المسيحيَّة، ثمَّ يُصلِّي خلف الإمام ﷺ، في حدث ذي رمزيَّة مكثَّفة جدًّا.

ليس فقط كذلك، ففي التَّحقيق في مرحلة ما بعد استتباب العدل والسلام في العالم، يتغيَّر الكون. هنا، يُصبح للتَّواصل مع الآخرين معنىً مغايرًا ومختلفًا، ونتائج غير عاديَّة في حياة البشر الدُّنيويَّة. البحث في هذا الجانب ليس موضوعنا هنا، لكنَّها إشارة.

المَبحثُ الثَّاني:
فِقه الأولويَّات السِّياسيَّة

سبقت الإشارة إلى الأولويَّات، وهي التي تُعدُّ أزمة حقيقيَّة لدى بعض الجماعات والدُّول. الأولويَّات جمعٌ وليست مفرد، ما يعني أنَّها ليست أولويَّة واحدة. وتحديدها يتطلَّب تفكيرًا مُعمَّقًا ودائمًا حول أهم الأمور التي يجب تخصيص الموارد باتّجاهها، والتَّنازل عن غيرها، بسبب أولويَّتها. تزخر المجتمعات بالحاجات الكثيرة، ودائمًا ما تستقرّ على طاولة صانع القرار عددٌ من اقتراحات العمل التي يرفعها إليه نُخب وحالمون واستراتيجيُّون وقارئون وبُلهاء وعملاء وغيرهم. فيكون عليه تنقية ما يقرأ، واستخلاص المُفيد منها، ومناقشتها مع أصحاب الشَّأن، وأنْ لا يملَّ من

تدفُّقها. فهو ما دام في مركز القرار؛ فعليه أنْ يتحمَّلَ عبئه، ولا يعتاد على ردّ ما يصل إليه، أو الإكثار من تحويلها إلى حُجَّابه أو مستشاريه أو حاشيته.
يُلاحظ أنَّ كلَّ فردٍ يرى على شاكلة اهتماماته، فالطَّبيب يقترح تطوير القطاع الصّحِّيِّ في البلاد، والمعماريُّ يشغل باله الهُويَّة الإنشائيَّة للوطن، والتَّاجر يهمُّه تعزيز التَّبادل مع الأسواق، وعالم الدّين يتوق إلى تنقية المجتمع من الانحرافات وإعلاء القِيَم السَّامية، والعسكريُّ يعيش هاجس التّحدّيات الأمنيّة، والمُزارع أو الصّناعيّ تتركَّز حساسيَّته في تصريف إنتاجه، والمُعلّم يتفحَّص المستوى التَّربويَّ في المدارس والجامعات، إلخ. أمَّا السّياسي، فهو يختار بين هذه الحاجات، وفق خُطَّة مدروسة، ضمن الموارد المتاحة، وعلى مدى زمنيٍّ مُعينَّ، ويدفع إلى تطبيقها، ثمَّ مراجعتها كل حين.
في العلاقات الدَّوليَّة؛ حيث السّلم والحرب، يكون تحديد الأولويَّات صعبًا؛ حيثُ إنَّ المنافسين كُثر، وهناك أعداء، ويوجد حلفاء، ولا تخلو المسألة من مُحايدين، مع اختلاف الثَّقافات والأولويَّات الأخرى. قد لا يكون خيارك الحرب، لكنَّ قرار الحرب والسّلم هو في يد غيرك، فيُلزمك بالاستنفار في هذا الجانب. قد يفرض عليك موقعك الجغرافيّ استحالات وتحدِّيات معيَّنة، ولا تستطيع معها حلاًّ، سوى الاهتمام بنتائجها الأمنيَّة والسّياسيَّة.
ما هو مفيد هنا هو الإشارة إلى مفهوم أساس، وهو لائحة الأعداء. دائمًا هناك أعداء، ومن لا أعداء له هو شخص هامشيٌّ. فما العمل مع تعدُّد الأعداء أو الأعداء المحتملين، مع بيئة دوليَّة معادية؟ والحلُّ هو وضع

أولويَّـات: هنـاك عدوٌّ خطـره داهِم ووشـيك، وهناك عـدوٌّ أبعد ويمكن تأجيلـه، وهناك عـدوٌّ يمكن تسـكينه ببعـض المزايا، وهناك عـدوٌّ ليس قادرًا على الإيذاء. مع محدوديَّة الموارد، تشـير القاعدة إلى «عدم تجميع الخصوم»، وتقسـيمهم إلى فئات، وتحديد التَّهديد الأكبر، وتركيز الموارد عليـه، والتَّخلُّص منه، وبثّ رسـالة ردع به إلى الآخريـن. فهناك أولويَّات أخرى تستلزم الاهتمام أيضًا.

عندمـا نقول أولويَّات، فهـي تنفي أن تتركَّز المـوارد في الأولويَّة الأولى. فإذا كان لدينا أربع أولويَّات، فسـتحوز الأولويَّة الأولى على النّسبة الأكبر مـن الموارد، ثمَّ تليها الثَّانية بنسـبة أقلّ، والثَّالثة بنسـبة أقلّ، والرابعة بأقلّ النّسـب. هكذا تعمل المنظَّمات والدُّول، وبغير هذا يحصل الاختلال في المجتمع. لكن، كيف تُحدَّد هذه الأولويَّات؟ يجري ذلك بواسطة الجُهود المسـتمرَّة لصنَّاع القرار والفاعلين السّياسيّين، ومن خلال تحديثها سنويًّا، ووجـود نظريَّة أمن قومـي متبنَّاة، والمرونة مع المتغـيّرات، التي تبدّل في ترتيـب الأولويَّـات، ومن ثمَّ اسـتخلاص العِبر والتَّغذيَّـة الرَّاجعة وتطوير الأولويَّات من جديد.

مـن القضايـا التي سـبَّبت كثيراً مـن المشـاكل في العمل السّـياسي بين المسلمين، هي مسـألة «العدو البعيد والعدوّ القريب». في الأصل، ينبغي أن يكون واضحًا أنَّ الانشغال بالعدوّ البعيد يُصلح حال الأُمَّة، ويبعد عنها الفتن، ويصرف الاهتمام إلى قضايا أخرى. أمَّا التَّركيز على العدوّ القريب،

فهو منشأ الفتن والنّزاعات، وسبَّب كثيراً من الحروب الطَّائفيَّة والمذهبيَّة والقوميَّة وغيرها. فينبغي التَّخلُّص من قاعدة أنَّ العدوَّ القريب أخطر على الأُمَّة من العدوّ البعيد؛ لأنَّها أسالت دماء المسلمين، وتركت دماء المُعتدين، الذي عاثوا فسادًا في بلاد المسلمين، واستفادوا جدًّا من القتال البَينيّ داخل العالم الإسلامي.

في دولة المنتظَر عجل الله تعالى فرجه الشريف، يرسُم القائد الإلهيُّ الأولويَّات بدقَّة، وينفِّذها المؤمنون تحت رايته، وبها يُحرَّر الكون. فيُتخلَّص أوَّلًا من الأفراد والجماعات الذين يُعيقون بناء المشروع الإنسانيّ التَّامّ، ثمَّ يُبنى العدل والسَّلام إلى يوم القيامة. لذلك، فالتَّمهيد لظهوره المبارك يتطلَّب وعيًا لثقافة الأولويَّات الصَّحيحة، وعدم تشتيت الاهتمام إلى ما لا يُفيد، بل قد يضرّ، خصوصًا أنَّ الزَّمن الذي يسبق الظُّهور سيسجّل أعلى مستويات الفتنة والظُّلم والجَور. في مثل هذه الأوضاع، يكون لزامًا التَّفكير بهدوء، وعدم استعجال الحلول، والنَّظر في الأولويَّات المُناسبة، وبذل الجهد لإتمامها.

المَبحثُ الثَّالث:
قواعدُ الكِياسة والبروتوكول الدَّوليَّيْن

الكِياسة واللباقة من صفات المؤمن والدَّبلوماسي. و«البروتوكول» هو

قواعد السُّلوك الرَّسميّ، بخلاف «الإتيكيت-étiquette» الذي هو قواعد السُّلوك الاجتماعي. عندما نتحدَّث عن دولة، فنحن نتحدَّث عن انضباط في العمل ولوائح وقوانين وأنظمة، واتّساق للأمور؛ فالدَّولة لا معنى لها دون أفرادها الذي يعملون فيها. من هنا، وخصوصًا في ما يتعلَّق بالعمل الدّبلوماسيّ والسّياسة الدَّوليَّة، تظهر أهمّيَّة هذه القواعد، والتي تشمل مروحةً من الأسس، التي لا مجال لعرضها في هذا البحث.

ما ينبغي الالتفات إليه، هو طريقة تواصل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف مع محيطه، وتواصلهم معه. وهناك فئات عدَّة. فالأصحاب الخُلَّص هم أطوع له من بنانه، وأطوع له من الأَمَة لسيّدها، وليس بينه وبينهم حِجاب، ويحوطون به في الحروب، يقونه بأنفسهم، وهم سابقون إلى إرادته، قبل أوامره. ما نلحظه من علاقة عميقة جدًّا بين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنصاره الحواريّين أمرٌ عجيبٌ ومتين، ويظهر في بيعتهم له، وما يتبادلونه من التزامات.

أمَّا المجتمع المسلم والعام، فنجد أنَّنا إزاء مرحلتين: مرحلة السَّيف، ومرحلة الرَّحمة. مع عدم وجود بَداء يُغيِّر مجرى الأمور، فإنَّ لكلّ مرحلة مستلزماتها. في الأولى، الأولويَّة للتَّحرير، وفي الثَّانية، الأولويَّة لبناء نظام العدل العالميّ. يبدو أنَّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يتعاطى باللين والدَّليل في مكان، وبالشدَّة في مكان آخر، وقد امتلأت الأرض بالظُّلم. إنَّ تأسيس النّظام الجيّد هو عملية قيصريَّة هائلة، لم يسبق لها مثيل في الكون. لذلك، لا بُدَّ من الرُّعب، ومن الطَّاعة، ومن تحمُّل الصّعاب لتحقيق النَّتائج الاستثنائيَّة.

هناك قواعد تعاطي مع الإمام عجل الله فرجه الشريف، كما كان هناك قواعد تعاطي مع النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويستأهل هذا الجانب بحثًا آخر. أمَّا في العَلاقات الدَّوليَّة للإمام عجل الله فرجه الشريف، قبل السَّيطرة على العالم، فهناك محاولات إقناع (كما مع السُّفياني)، وجهود هداية -كما مع نبيّ الله عيسى عليه السلام-، وأحكام عقابيَّة. وكما سبقت الإشارة، ينبغي التَّعوُّد على معنى أن يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حاكمًا، فيأمر وينهى، ويأمر فيُطاع، على أساس العدل التَّام، وما أصعبه من تكليف. لا ينبغي الاستهانة بهذا التَّحدّي أبدًا.

أمَّا الإمام عليه السلام نفسه، فهو سليل أهل بيت الكرم، وسادة الأخلاق والكِياسة، وأئمة الرَّحمة، وقادة العلوم، وساسة العباد. وعلى من يأمل أن يكون في صفّه، عليه أنْ يتحلَّى بهذه الصّفات. ومن يريد أنْ يُملَّك في دولته، فعليه أن يحوز صفات القيادة، ومنها الكِياسة و«البرتوكول».

الفَصلُ الرَّابع:
الأخلاق بين فِقه الجهاد
وقانون النّزاعات المسلَّحة

الحـرب هـي اشـتباكٌ عـام، وبحسـب (برنـارد مونتغمـري Bernard-Montgomery)، الحـرب هـي "صـدامٌ طويل ينشـب نتيجة لنـزاع كُتل سياسـيَّة بقوَّة السّـلاح."[1] وفي القانون الـدَّوليّ، لا تكون إلاَّ بين جيوش رسـميَّة. فتعريف الحرب هنـا محدود، وليس كلُّ صدام عسـكريّ حربًا. ففيها تتصادم إرادات القتال، وتُبذَل داخلها كلُّ الإمكانات، وقد تأخذ وقتًا طويـلاً قبل جلاء نتيجتهـا. الحرب هي الحدث الدَّمـوي الأصعب الذي يرتكبه الإنسان، لكنَّها لا تتوقَّف؛ فهي فعلٌ بشريٌّ مستمرٌّ، يهدف إلى تغيير الوقائع على الأرض بالقوَّة.

أمَّا النّزاع المُسـلَّح، فهو كلُّ صِدام عسـكريّ بين جماعات مسلَّحة، سواء أكانت جيوشًـا أم منظَّمات أم غيرها. فهو أشـمل من الحرب، وقد زادت

١ - محمد فتحي أمين: موسوعة أنواع الحروب، ص١٦.

نسب حصوله كثيراً. فاليوم، أغلب أعمال العُنف العامَّة هي نزاعات مسلَّحة، وليست حروبًا. فهي تكفي الدُّول الكبرى التَّورُّط المباشر في حروب بالأصالة. لكنَّ النَّتيجة واحدة: كثير من سفك الدّماء، ولا أحد يتَّعظ.

الجزء الآخر من إشكاليَّة الحروب هي أنَّ رد الحرب لا يُمكن، في هذا الزَّمن المادّي، أنْ يكون إلاَّ بالحرب أو الاستعداد لها. لا يفلُّ الحديد إلاَّ الحديد، ولا رادع للقوَّة إلاَّ القوَّة. من السهل أنْ يقول المرء إنَّه ضدَّ الحروب، لكن من الصعب أنْ يقول أنَّ العدوان لن يحصل. لذلك، لطالما اعتُبر حقُّ الدّفاع عن النَّفس حقًّا أصيلاً، فدونه تتعرَّض الأُمم إلى الإبادة، ولن تكفي بيانات التَّضامن والاستنكار والشَّجب في ردّ الحقوق إلى أصحابها.

أمَّا العُنف، بصفته مصطلحًا، ونقصد به العُنف الماديَّ، فهو «كلُّ أذى (مادّيّ، ومعنويّ) يلحق بالأشخاص أو الهيئات أو المُمتلكات.»[1] فالعُنف الأُسريُّ ليس حربًا ولا نزاعًا مسلَّحًا، والعُنف في الشَّوارع ليس كذلك أيضًا، وهي ظواهر منتشرة في الغرب، رغم سطوة القانون المحليِّ. فأعلى نسبة جريمة هي في الولايات المتَّحدة، وأعلى نسب الانتحار والاغتصاب والطَّلاق هي في أوروبَّا.

---

١ - محمود عبد الله محمد خوالدة: علم نفس الإرهاب، ص٤٤. ٤٥.

تستمر مُعضلة الأمن، وتنتعش الصّناعات الحربيَّة، وترتفع ميزانيَّات التَّسلُّح، خصوصًا في الغرب، إلى معدَّلات غير مسبوقة تاريخيًّا. حتَّى لو تراجعت الأرقام في فترة ما، فلا تلبث أن تعود للارتفاع. وأصبح هناك، لا سيَّما في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، مجمَّعات صناعيَّة عسكريَّة، حذَّر من سطوتها يومًا (دوايت أيزنهاور Dwight Eisenhower)، تَشكَّل أقوى لوبي فيها؛ حيثُ حمل السّلاح الفرديّ حقٌ دستوريٌّ، وكذلك تشكيل ميليشيَّات مسلَّحة. والنتيجة، يبقى الوضع على حاله، مع هيمنة ثقافة "واقعيَّة" غربيَّة في فَهم الأمن، سعيًا إلى "معادلة صفريَّة"، يكون الغرب فيها رابحًا، وباقي العالم خاسرين.

لكنَّ هذه الوصفة لا تنجح دومًا، وهناك رفض عالميّ متصاعد لهيمنة الشَّمال، وهو ما يُثير توتُّر الغربيّين، ويدفعهم إلى اعتماد الوسائل ذاتها، وتوقُّع نتائج مختلفة. والرّبح ليس سوى حدث كريه. "لقد كان قائدًا كبيراً وعظيمًا ذاك الذي أطلق هذه الجملة الشَّهيرة: 'الحرب هي جهنَّم'. الحرب تُغيّرك إلى الأبد. وأنا لا أعتقد أنَّ أحدًا خاض حربًا يتوق الآن إلى خوضها مرَّة أخرى"[1]. هذا هو الأصل، ولا يمُكن قبول الحرب إلا بمسوّغات قويَّة.

---

١ - أوليفر نورث: تحت النار، ص١٢٠.

المَبحثُ الأوَّل:
قانون النّزاعات المسلَّحة

ثمَّة جهـود عديدة بُذلت لصياغـة قوانين للحروب، وقـد تكاثفت خلال القرن العشرين، ولا سـيَّما في النّصف الأوَّل منـه، مع الحربين الكبيرتين في أوروبَّـا. إنَّ تطوُّر وسـائل الفتك، والارتفاع الهائـل في عدد الضَّحايا، وما سبَّبه ذلك من ويلات طالت البشريَّة، وتزايُد النَّشاط الفِكريّ والحاجة إلى تبريـر أفعال القتل الجماعيّ، دفع إلى ظهور اتّفاقات تضبط النّزاعات المسلَّحة. وهنا لا بُدَّ من الالتفات إلى بعض الأمور، وباختصار:

١. هذه الاتفاقيَّات والبروتوكولات جيِّدة إجمالاً، وتُسهم في تخفيف حدَّة الحـروب، وأثرها عـلى المدنيّين والأعيان المدنيَّـة والثَّقافيَّة وغيرها. لذلك، من المفيد تأييدها والعمل على تطويرها من أجل وقف سـفك الدماء. فالأصل هو للسَّلام وتعارف الحضارات، وليس للصّدام بينها.

٢. ينقسـم قانون الحرب إلى نوعين: الأوَّل هو القانون الذي يُعنى بأساس شرعيَّـة ومشروعيَّـة الحـروب وعدالتهـا. هـذا النَّوع مهمٌّ جـدًّا، وفي المنظور الإسلاميّ هو فائق الضَّرورة، لكن في المنظور المادّيّ، يُهمَّش إلاَّ من بعض الأفكار هنا وهناك. والسَّبب في ذلك هو أنَّ أغلب حروب غـير المتديّنين غير عادلة وغير قانونيَّة؛ فينصبُّ اهتمامهم على تسـويغ

عدوانهم وتبرير جرائمهم في الإعلام والأكاديميَّة والفن. لذلك، نُلاحظ أنَّ مصطلح "قانون الحرب" بات يعني، عند بعضهم، النَّوعَ الثَّاني الآتي ذكره، وهو قانون السُّلوك الحربي، أو ما بات معروفًا بالقانون الدَّولي الإنسانيّ. وهو يُعنى بتخفيف آثار الحرب على المدنيّين والأعيان المدنيَّة، وليس السُّؤال الأهمّ: هل الحرب شرعيَّة أم لا؟

٣. بات القانون الدَّوليُّ الإنسانيُّ جسمًا قانونيًّا كبيرًا، ويتألَّف من سبعمئة مادَّة. هذا أمرٌ مفيد، بأنْ يُتَّجه إلى التَّفكير في حماية غير المحاربين بشكلٍ أساس. ما دام فعل الحرب هو أمر سيِّئ، فإنَّ كلَّ جهد للتَّقليل من أضرارها يستحقُّ الثَّناء. لكن يبقى أنَّ إحقاق الحقّ يستوجب منع الحروب العُدوانيَّة والظَّالمة قبل كلّ شيء، وليس امتصاص رفض العقل السَّليم لوقوعها من خلال كلام كثير عن حماية المدنيّين، وهم أوَّل من يُعاني ويلاتها.

٤. تنقص القانون الدَّوليُّ الإنسانيُّ جوانب كثيرة، يأبى الغربيُّون طرحها وتجريمها. فقد تحوَّل أغلب اهتمام المعنيّين بالموضوع نحو التَّطوير الجُزئي للقانون، دون المباشرَة في منع المخاطر الأكبر للحرب. ويمُكن الحديث كثيرًا عن هذه النُّقطة، لكن من المناسب الإشارة إلى غياب معاهدات تخصُّصيَّة لضبط سلاح الجوّ، والسلاح النَّوويّ (شرَّعت استخدامه محكمة العدل الدَّوليَّة عام ١٩٩٦ في فتواها الشهيرة)، والحروب السيبرانيَّة، وغيرها.

مع ذلك، تستمرّ بعض الجهود، وببطء نوعًا ما، لإرساء توافقات وصياغة اتفاقيَّات عن استخدام بعض العتاد الحربيّ، لكن هذا لا يكفي؛ فليس هناك آليَّات تنفيذيَّة فعّالة تُحاسِب المرتكبين، خصوصًا أولئك المنتمين إلى الدُّول الكُبرى وحلفائهم. وهناك قضيَّة التَّوقيع والتَّصديق من قِبل الدُّول لهذه الاتّفاقيَّات، كي تُصبح مُلزمة، والتي تشكّل عائقًا آخر. وهناك دول ترفض، من الأساس، الانضمام إلى بعض البروتوكولات بسبب مخاوف معيَّنة أو لأنَّها تقيّد حركة جيوشها. وهناك نظام إعلاميٌّ متحيّز للغاية، يسلّط الضَّوء على ما يريد، ويُغفِل ما يريد، وهذا يُضعف إجراءات نقل وقائع ما يجري على الأرض والتَّعاطي معها وبناء رأي عام يرفض تجاوزاتها. وهناك متحدِّثون عسكريِّون وسياسيُّون وقانونيُّون ينحصر دورهم في تشويه الحقائق وتكرار الادّعاء بأنَّ حروبهم قِيَميَّة. في النتيجة، تُصبح النّزاعات المسلَّحة أسوأ، وفي الوقت نفسه، يُصبح خطاب القانون الدوليّ الإنسانيّ أكثر تداولاً.

أطلق الفقهاء في الدراسات الإسلاميَّة على مباحث القانون الدَّولي اسم "السِيَر والمغازي"[1]. وعند ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، ستكون هناك معارك تحريريَّة كُبرى. وبحسب النُّصوص، لن يلتزم أعداء الحقّ بأيِّ ضوابط عند احتدام النزاع. فالسفيانيُّ، مثلاً، يبدأ حركته دون جرائم تطال المدنيّين، إلى شهرين من وصوله إلى دمشق، لكن بعدها ستحدث جرائم فظيعة إلى حين

١ - زيد بن عبد الكريم الزيد: مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام، ص٨.

هزيمتــه النّهائية والسَّريعة. على كلّ حال، دائمًا ما كان الباطل كذلك، ولا يســتطيع الثَّبات على ادّعائه الإنسانيَّة والالتزام بالمواثيق، وتحت الضَّغط، ستنكشف حقيقته، التي لن تفاجئ إلَّا الموهومين.

المَبحث الثَّاني:
فِقه الجهاد

الجهاد، كما يصفه (ابن رشــد)، «مأخوذ من الجهد وهو التَّعب، فمعنى الجهاد في ســبيل الله المبالغة في إتعاب النَّفــس في ذات الله وإعلاء كلمته. والجهاد ينقســم على أربعة أقســام: جهاد بالقلب وجهاد باللســان وجهاد باليد وجهاد بالسَّــيف»[1]. أمَّــا الجهــاد العســكريُّ، فهو بذل الجهــد باليد والسَّــيف لأداء التَّكليف، وينظّمه فقه كبير، يجهله بعضهم. ففي زمن الرَّسول ﷺ، في المدينة، وخلال عشر ســنوات، بلغ عدد الغــزوات والسَّرايا فوق الســبعين سريَّة. وفي زمــن (أمير المؤمنــين) عليه السلام، حصلت حروب ومعارك مليئــة بالدُّروس والعبر، خصوصًا حرب صفِّين الكثيفة بتفاصيلها. وقد قاد (الإمام الحسن) عليه السلام حروبًا أكثر من (الإمام الحسين) عليه السلام، وقدَّما سويًّا أُمثولات في الحرب والسّلم، ضمن موازين القُوى التي كانت في زمانهم. وقد «اتَّفقت كلمة الفقهاء المسلمين على

١ - ابن رشد: مقدمات ابن رشد، ص٢٥٨-٢٥٩.

أنَّ الجهـاد بالمعنـى المصطلح عليه فقهيًّـا لا يكون إلَّا ضـدَّ الكفَّار الذين لا تربطهم مع المسـلمين علاقات تعاهد أو هدنة، والذين لا يسكنون أو يعيشون بين المسلمين بمقتضى علاقات الذّمَّة أو ما يقوم مقامها»[1].

هذا على مسـتوى الفعل، أمَّا على مسـتوى القول، نجد تُراثًا من الأحكام الشرعيَّة المُلزمة في الحرب، والتي تتفوَّق على قواعد قوانين الحرب، وهذا بحـث آخر. فالأصل الأوَّل هو أصـل شرعيَّة الحرب، والتي تتطلَّب وجود حاكم عادل، وفـق التَّعريف الفِقهي للعدالة، وهو شرط كبير. فالجهاد في الإسلام، كما هو معروف، هو ابتدائيٌّ ودفاعيٌّ. لكنَّ البحوث تطوَّرت إلى ميادين جديدة، كالدّفاع الهجومي أو الهجوم الدّفاعي، أو المسمَّيين الذين يخلط بعضهم بينهما: العمليَّات الوقائيَّة والعمليَّات الاستباقيَّة.

إنَّ أحكام الجهاد واسـعة، وتشـمل جوانب الحرب كلَّهـا. منها ما يتعلَّق بالإنسـان المحارِب، وغير المقاتِل، والشَّيخ، والطفل، والنّساء، وغيرهم. ومنها ما يتعلَّق بالحرث والنَّسل والسّلاح وغيرها. ومنها ما يتعلَّق بالأموال والدّفاع والهجوم والمُعاقبة والرَّدع وغيرها من أسباب الحرب. ومنها أعمّ، يتعلَّق بالنيَّة والغاية والارتباط بالآخرة والشهادة ومفهوم النَّصر وموانعه.

بقيادة الإمام المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف، سيتفعَّل العمل الجهاديّ بكامله عند ظهوره المبارك. سترتفع السُّيوف لبناء نظام الخلافة الإلهيَّة على الأرض، ثمَّ التَّمتُّع بالسَّلام كما لم

---

١ - محمد مهدي شمس الدين: فقه العنف المسلح في الإسلام، ص٤٤, ٤٣.

تجرّبه البشريَّة من قبل. صدمة التَّغيير ستكون هائلة، وسيستدير الفلك من جديد على أيدي مجاهدين نوعيّين جدًّا، جاد بهم الزَّمان والإرادة واللُّطف الإلهيَّين. سيكون الجهاد تامًّا ومريرًا، يتطلَّب شخصيَّات عقديَّة لا تهتزّ، تواجه الموت دون تردُّد، وتكسر المستحيل بثقة. وعلى أيديها سيتحقَّق هدف يئس كثيرون من إمكانيَّة الوصول إليه، وهو العدل الكامل على المستوى الإنسانيّ.

هذا الفِعل الجهاديّ سيكون تاريخيًّا، وحُجَّة على كلِّ من قاد حربًا في الماضي؛ لأنَّه سيلتزم بكلّ أحكام فِقه الجهاد، ومعه ورغم ضوابطه سيحصل النَّصر الصَّعب. حينها، سيُثبَت أكثر أنَّ المنظور الإسلاميَّ للحرب هو الصَّحيح، وهو الوحيد الذي تمكَّن من إنجاز أعظم هدف دُنيويّ، أي العدل والتَّحرير. من هنا، وبالنظر إلى عُلوّ هذه الأهداف، والصُّعوبات التي تعترضها، وهو أمر فرض غيبة طويلة وتضحيات جمَّة، على المُمهّدين تحضير أنفسهم لنوع المَهمَّة القادمة، وأنْ تكون أفعالهم الحربيَّة متوافقةً مع أحكام فِقه الجهاد. كما أنَّ ثقافة الشَّهادة مُهمَّة للغاية في مرحلة السَّابقة للظُّهور؛ حيثُ يعتاد المجتمع على فكرة التَّضحية، من أجل الأهداف السَّامية. والشَّهادة «في قاموسنا 'درجة'، وليست وسيلة إنَّما هي هدف، إنَّها أصالة وتكامل وسمو، إنَّها مسؤوليَّة كُبرى وصعود من أقصر الطُّرق إلى معارج الإنسانيَّة، إنَّها منهج.. إذا استطعت، انتزع الحياة وإلَّا قدَّمها»[1].

---

١ - علي شريعتي: الشهادة، ص١١٥.

المَبحثُ الثَّالث:
أخلاق الحرب وقواعد الشَّرف العسكري والفروسيَّة والمبارزة

إنَّ الحديث عن الأخلاق المطلقة يعني دوامها في كلّ زمان ومكان، والحديث عن قواعد السّلم والحرب يعني أنَّها لا تتغيَّر. الذي يتبدَّل هو الأدوات والاتّساع والسُّرعة والموارد، أمَّا الأُسس، فلا تتغيَّر، والاستثناءات لا تلغي القاعدة. فالصّدق يبقى صدقًا، والأمانة هي الأمانة، والوفاء فضيلة دائمة، والخيانة رذيلة أبدًا. وكذلك، العدل حلم وأمل، والظُّلم قبيح وسيّئ. ولا تزال الدراسات العسكريَّة تبدأ مع (سون تزو- Sun Tzu)، ولا تزال أفكار الهجوم والدّفاع والردع هي ذاتها. أمَّا أولئك الذين يعتقدون، وهم موجودون في كل حقبة، أنَّ زمنهم استثنائيٌّ، وأنَّ أصول الأمور تتغيَّر، فهم سيكتشفون أنَّ أغلب الأمور تجري "وفق القواعد القديمة، مع استمرار قوَّة عناصر الفعل ورد الفعل"[1] على طول الخطّ.

يُتحدَّثُ عن أخلاق الحرب غربيًّا بالطريقة نفسها التي يفهمون بها الأخلاق العامَّة. ما جرى تقعيده يُحترم، وما لم يجري تحويله إلى قواعد أو مدوَّنات

1 - Barry Buzan and Eric Herring: the Arms Dynamic in World Politics, P209.

سلوك لا يُعمل به، إلاَّ بمبادرة فرديَّة. وذلك كلّه عُرضة للتَّغيير والتَّبديل عند أوَّل مناسبة، أو تحت أيّ ضغط أو مصلحة. أمَّا في المنظومة الإسلاميَّة؛ فمكارم الأخلاق هي الأساس، ودونها يختلّ بنيان الرّسالة الخالدة. هذا ما نجده في سيرة الأطهار، الذين وإنْ اصطفَّ الحقُّ إلى جانبهم حُكمًا وجزمًا، وإنْ بان باطل أعدائهم واضحًا وجليًّا، فهم وضعوا سوابق مُهمَّة، تشير إلى كثافة القِيَم المرافقة لحروبهم حيثُ وجبت.

إنَّ الأمثلة كثيرة، منها، عدم البدء بالقتال، كما جرى مع (الحسين) عليه السلام في معركته الأخيرة والملحميَّة في كربلاء. ومنها السَّماح بالوصول إلى الماء في صفّين، فحين غلب (عليٌّ) عليه السلام على الماء، سقى الجيش الأمويّ، بينما عندما غلب (معاوية) على الماء، حرم جيش الخلافة منه. في المسير نحو فتح مكَّة، كان جيش المسلمين عشرة آلاف، وبعضهم يقول اثنا عشر ألفًا، أو التحق بهم في الطَّريق كتائب عدَّة من الجند. كان جيشًا غير مسبوق، بحجمه، في حركة الإسلام حتَّى ذلك الحين، وكان الهدف عظيمًا، وهو العودة إلى المركز الذي أُخرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منه، أي مكَّة، وما تعنيه السيطرة عليها من تحرير شبه الجزيرة العربيَّة من الشرك وسيادة الدّين الجديد. أثناء مسير الجيش الكبير، صادف كلبةً تُرضع جروها. كان من السَّهل إزاحتها بلُطف، ولن يعترض أحد، فإذا بالنَّبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمر، ليس فقط بأن يغيّر الجيش طريقه، بل وضع حارسًا أمام هذا الحيوان، ليعرض على كلّ مجموعة من الجيش سبب

الانحراف عن الجادة. هكذا، يتعلَّم جميعهم معنى الحرب في الإسلام، وبعض ضوابطها.

نهى الإسلام عن التَّمثيل بالجثث، على خلاف ما كان يجري في زمن الجاهليَّة. وراعى بعض العادات في الحروب، ومنها المبارزة، التي هي فعل قتاليٌّ خطير وذو نتائج معنويَّة كبيرة على الجنود المتفرجين. الحرب، في السَّابق، كانت التحاميَّة، تتراصف فيها القوَّات قبالة بعضها البعض، وليس كالحروب العصريَّة، التي يتلاشى فيها الالتحام، بسبب تطوُّر المدفعيَّة والصَّواريخ وسلاح الجوّ والبحر. عندما يأخذ الفارس قرارًا بالبِراز، فهو يعرّض نفسه للموت المحتمل جدًّا. هي لُعبة موت، تفرضها الحرب، وتشجّع عليها قيمة الشَّجاعة والبطولة. هذه المبارزات كان لها قواعد، نسيها النَّاس اليوم. ففي معركة بدر، مثلاً، تقدَّم ثلاثة من أبطال قريش للنزال، فتقدَّم إليهم ثلاثة من المسلمين. رفض عُتبة وشيبة والوليد ذلك، وطلبوا أن يواجههم نظراؤهم من قومهم، وهذا ما حصل. الأمر نفسه تكرَّر في أغلب المعارك، وكانت لسيوف العظماء (الحمزة) و(علي) عليهما السلام و(جعفر) وغيرهم مواقف مشهودة، وكذلك لثلَّة من أصحاب النَّبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ومنها كربلاء أيقونة الحرب الاستشهاديَّة الجماعيَّة، والتي قاتل فيها فرسان المصر وأهل البصائر بشراسة لا نظير لها حتَّى الموت، في سبيل الحقّ، فخُلِّدوا عبر التَّاريخ، وألهموا أجيالاً من المجاهدين.

هناك من يقاتل بشرف، وهناك من يقاتل بالغدر، وما أكثرهم في هذا الزمن. هناك من يُجيد التَّحريض والشَّماتة، وهناك من يجيد العلم والعمل. إنَّ ديدن أهل الحقّ هو الشَّرف والحقّ والتَّضحية والبذل والعطاء والفروسيَّة والثَّبات والصَّبر والصّدق، وهكذا تكون دولة (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزَّمان. فهو من نصيف شرفٍ لا يُساوى، ولا شرفَ كشرفه، وبه يتشرَّف من يراه أيمَّا شرف، بل كانت العرب تفتخر على العرب عندما كان سيف جدّه (أمير المؤمنين) عليه السلام يقتل أبطالهم، وليس أيُّ سيف آخر. هذا الجانب من البحث مُهمّ، رغم احتوائه على شذرات عاطفيَّة، ولا ضَير، فما الدّين إلَّا الحبّ، وهو اختلاف منهجيّ عن طريقة الغرب الجافَّة والماديَّة، دون أن نغفل الموضوعيَّة طبعًا.

في حرب (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف وسِلمه، ستبرز كل معايير الشَّرف والفروسيَّة وقيم المبارزة، حتَّى لو طوى الزَّمان بعض مظاهرها، لكنَّ قواعد الحرب والسّلم لا تتغيَّر، كما سبقت الإشارة. يركّز بعضهم على القسوة في المرحلة الجهاديَّة التي تلي الظُّهور، لكنَّهم ربمَّا يغفلون أنَّ القِيَم الخُلُقيَّة هي فوق كلّ شيء، وأنْ لا ظلم تحت راية المعصوم عليه السلام، وأنَّ نظام العدل يشترط الجزاء، وأنَّ الحرب الشرعيَّة تبقى حربًا في النّهاية. لذلك، على الموطّئين لـ (المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف سلطانه، أن يراعوا أخلاق الحرب وأحكامها، فالتَّوفيق مصدره الالتزام بما أمر الله -تعالى- في الدُّنيا والآخرة.

المبحثُ الرَّابع:
ثر الشَّجاعة في تغيير السّياسات العامَّة

إنَّ الشَّجاعة صفة مُهمَّة، في الحرب والسّلم، وفي السّياسات العامَّة، وفي الحياة الخاصَّة أيضًا. تبرز صفة الشَّجاعة بشكل لافت في أصحاب (الإمام المهـدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهم قادة الحرب، وقادة الدَّولـة. فقلوبهم كزُبُر الحديد، ولو حملوا على الجبال لأزالوها. كأنَّ على خيولهم العقبان، ويسير الرُّعب أمامهم مسـيرة شـهر. هذه المزايا ضروريَّة لرؤساء الثَّورة العالميَّة الأخيرة، وقد أكَّدت عليها الرُّوايات، في دلالة على أهميَّتها.

هناك فارق جوهريٌ بين المدرسـة السّياسـيَّة في الإسلام، ومدرسة الغرب السّياسـيَّة. لم يجـد الماديُّون طريقة لإنتاج فِكر سـياسيّ حقيقي سـويٍّ بالتركيـز عـلى النّظام السّـياسي، كأنَّ السّياسـة مجرَّد ترتيب إداريّ يُشـبه الشَّركات أو المؤسَّسـات. نعم، هناك أفكار وفلسـفة سياسيَّة، لكنَّها هشَّة في مضمونهـا، أمَّا الإنجاز الـذي يُقدّمونه للعالم، فهو الكلام عن شـكل الدَّولة ومؤسَّسـات الدّيموقراطيَّة وتداوُل السُّـلطة والفصل بين السُّلطات وهكـذا. في القطاع الخاصّ مثالًا، شـكل الشَّركة وتوزيع قـوَّة القرار فيها أمـور مُهمَّـة نوعًا ما، لكنَّ الأهمَّ ليسـوا إلَّا مالكي الأسـهم والأموال، أي الأرصدة والإمكانات الذَّاتيَّة لدى هؤلاء.

أمَّا في الفِقه السّياسي في الإسلام، فالجانب الشَّكلي له اعتباره، لكنَّه يتغيَّر مع الأزمان، كما تتبدَّل طريقة عمل الشَّركات والمؤسَّسات. أمَّا الأهمّ، فهو رصيد القادة السّياسيّين وإمكاناتهم، وهنا هي العدالة والأخلاق والشجاعة والعلم وغيرها. فالانشغال بصندوق الاقتراع لإنتاج نوَّاب ورؤساء أقلُّ أهمِّيَّة من المواصفات الحقيقيَّة لهؤلاء، وقدرتهم على النَّجاح في مواقعهم، وحسن إدارة الدَّولة لسنوات قادمة. لذلك، يتبحَّر الفقه السّياسيّ في هذا الجانب، وهو اختلاف منهجيّ عن طرائق الفَهم المادّيّ للعلوم السّياسيَّة، ويتطلَّب شرحه مجالاً غير متوفِّر هنا، وليس ضمن موضوع هذا البحث.

ما يهمُّنا هو أنَّ البحث في الدَّولة المهدويَّة يكون وفق المنظور الإسلاميّ، وليس وفق الطَّريقة المادّيَّة. لذلك، نلحظ التَّركيز على صفات الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه أكثر من احتكار الاهتمام في الشَّكل الإداريّ لدولته. ولا ضير في ذلك، فعندما يأتي القائد المعصوم، سيكون المرشد إلى كلّ التَّفاصيل، وقد سبق ظهوره تجارب كثيرة، يمكن أنْ يستفيد من بعضها، أو لا. فالأمر له، وهو السّياسي الأعلى، وبالنَّموذج الذي سيُقدّمه سينكشف للنَّاس تهافت الأفكار والأشكال السَّابقة. وعندما يخرج المجتمع من صُندوق الغرب، ويتحرَّر من إطاره الفكريّ، ستبرز تناقضاته للعموم، وسيكون واضحًا أنَّ طريقته ليست «المُثلى»، مثلما اعتقد (فرعون) يومًا.

ومن هذه الصّفات الشَّجاعة، التي لا يتعرَّف إليها الفكر السّياسي الغربيّ. يجادل فيها في جيوشه، من أجل تحفيز جنوده للقتال، وهم الآتون من

الأريـاف، ليموتوا من أجل قضايـا، مثل العَلم الوطنـي والحرِّيَّة، وكلّها أوهـم تُباع لمصلحة طبقة سياسـيَّة منتفعـة ولا تُقاتل. فالشَّـجاعة قيمة ذاتيَّـة، ذات بعـد خُلُقي، يتميَّـز بها أهل الحقّ العاملـون، والمجاهدون المخلصون، والسيَّاسيُّون الرّساليُّون. (الإمام المهدي) عليه السلام هو الأشجع، ومنْ معه يدْعُون بالشَّهادة، في قيادة استثنائيَّة ليس لها سابقة في التَّاريخ، علامتها الشَّـجاعة المطلقة والطَّاعة التَّامَّة والعلم الكامل والإيمان الذي لا حدود له.

المَبحث الخامس:
الحسم في دولة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

إنَّ مشروع (الإمام صاحب الزمان) عجل الله تعالى فرجه الشريف مختلف عن مشـاريع إنشاء الدُّول الأخرى. أقرب تشبيه، كما تُشير رُواياتٌ إليه، هو البعثة النبويَّة نفسها. وقد بدأ الإسـلام غريبًا، ويعود غريبًا، على يد من اسمه يوافق اسم النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومـن وصفه (أمير المؤمنين) عليه السلام بأنَّه رجلٌ مِنِّـي. فهو مشروع كبير جدًّا، وشروط نجاحه معقَّدة جدًّا، ومن يلتفت إلى هذه النُّقطة، يُدرك أنَّ مسـألة طول الغيبة طبيعيَّة جدًّا.

سـتُبنى على يد (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، دولة العـدل الإلهيّ، ويُقام الحقُّ،

عـلى مسـتوى الكون، فـلا يبقى مكان لا تصـل إليه يدُ الإمـام عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولا شخص غير مسـتيقن من الحقّ. مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، سيكون الجواب النهائيُّ لربّ العالمين على تسـاؤل الملائكة، الأوَّل: «أتجعل فيها من يفسـد فيها ويسـفك الدّماء؟» وهو سـؤال هائل وحقيقـيّ ولم ينفهِ ربُّ العـزَّة؛ إذ ردَّ وقال: «إنيّ أعلم ما لا تعلمون». سـيظهر المجتمع الإلهيّ، ويتبيَّن شـكل الاسـتخلاف المجتمعـيّ، وتنتقـل البشريَّة بـه مـن أدنى درك إلى أعلاه. هذه مَهمَّة تبدو مسـتحيلة، بأنْ يكون النَّـاس كلُّهم مؤمنين. وهذا لا يعني سـقوط التَّكليف بعد اسـتتباب الأمـر لصاحب الأمر عليه السلام، سـيبقى ربمَّا بعض الشَّراذم، لكنَّهم لن يضرُّوا الله شـيئًا. وقـد وعد الله -تعالى- الذين اسـتُضعِفوا في الأرض بالمـنّ عليهم، بأنْ يجعلهم أئمَّـة ووارثين. هذا ما سـيحصل، ومسـتقبل البشريَّة هو للصالحين؛ حيثُ سـتكون دولتهم هي الوحيدة في التَّاريخ التي لن تموت.

يتَّضـح أنَّ هدفًا بهذا الحجـم يتطلَّب ليًّا لذراع التَّاريخ والشَّـيطان والكفر في زمـن قياسي. والاسـتنتاج الجليُّ أنَّ حركة الإمـام عجل الله تعالى فرجه الشريف ينبغي أنْ تكون صادمة وقويَّة وغير متباطئة، لذا، هي تشـترط الحسم. فهي أكثر من ثورة، بل سـتأكل أبنـاء الكُفر والنَّصب وغيرهم. من هنا، فـإنَّ العَلاقات الدَّوليَّة للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في مرحلة البناء ستكون دبلوماسيَّة حاسمة؛ خُلُقيَّة في ما يتعلَّق بالتَّعهُّدات، وحربيَّة في ما يتعلَّق بتحرير النُّفوس والعقول. لن يكون هناك تـراخٍ، غير أنَّ ذلك لا ينفي إمكانيَّة حصول هزائم تكتيكيَّة، كما تشـير إلى

ذلك بعض الرُّوايات، لغربلة الناس وليس غربلة الخُلَّص، والله العالم. بالنّسبة للممهِّدين، هم معنيُّون بإدراك حجم المشروع، وليس الرُّكون إلى شخصية القائد الاستثنائيَّة فقط. فهم يتحمَّلون مسؤوليَّة نُصرة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، والسَّير في ركابه لتحقيق الهدف الصَّعب. لذا، من المناسب أن يشدَّ المنتظرون حيازيمهم الدَّبلوماسيَّة للصَّبر والحسم حين ينبغي، والمُطالبة المستمرَّة بالحقّ، الذي لا يُعطَى إلَّا بعد تعب، ثمَّ قد لا يقبلون، بعد فوات أوان الحُلم؛ لأنَّ الزَّمن زمن حسم. إنَّ امتلاك المؤمنين لميزتي الصَّبر والحسم، يجعلهم مظلومين وأقوياء في الوقت نفسه، وهذه نقطة مُهمَّة. فالانطباع السَّابق بأنَّ أهل الحقِّ يكونون ضعفاء قبل الظُّهور المبارك لا يتناسب مع حجم المَهمَّة المُلقاة على عاتقهم بعده. فأصل فلسفة الغَيبة قد تعني تهيئة جماعة الأنصار ليكونوا مؤهَّلين لحُكم العالم بالأسباب الطَّبيعيَّة، وليس بالمعجزة، وإلَّا لحصل الظُّهور قبل زمن بعيد، ولما عانى الأنبياء عليهم السلام، ولا استُشهد الأوصياء. إنَّ التَّجارب السّياسيَّة للمؤمنين بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف قبل خروجه العظيم مُهمَّة جدًّا في التَّمهيد له، وبها يكتسبون الخبرات، ويتعلَّمون من الأخطاء، ويُصبحون أقوى، مع معاناة متزايدة. حينها، يخرج القائد عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى الضَّوء، بعدما أُلقيت الحُجَّة، وتمحَّص الأخيار، وتوفَّر الأنصار الثَّابتون.

الفَصلُ الخامس:
الهُدنة بين الالتزام الخُلُقِيّ وأولويَّة العدل

اســتقرَّ -بسبب الضَّخّ الإعلاميّ المُستمرّ ســلوك التَّكفيريّين- انطباعٌ شائع بأنَّ الإســلام دين عنف. وقد حُمِل على الشَّريعة السَّــمحاء أنَّها تدعو إلى السَّــيف وترفض الآخر وتفجّر المدنيّين، إلى حدّ أنَّ رؤســاء دول غربيَّة لا يتورَّعون عن اســتخدام مُصطلــح نمطيّ وكاذب: «الإرهاب الإســلاميّ» حتَّــى بعض النُّخب التي تنتمي إلى الدّين الإســلاميّ صدَّقت هذا الادّعاء وســارت به، بالرَّغم أنَّ نســب الجريمة التي يرتكبها مســلمون في الغرب قليلة جــدًّا، ورغم أنَّ أعمال العُنف في القرن العشرين، بحســب (روبرت ماكنــمارا- Robert Strange McNamara)، تســبَّب في قتل مئة وســتِّين مليون إنســان، نصيب المســلمين منها قليلٌ جدًّا، ونصيــب دمويَّة الغرب منهــا عــال. عندما نتحدَّث عن الغرب، لا يعني ذلــك وجود هاجس لدينا بســببه، بل لأنَّه المُهَيمِن في هذا الزَّمن، ولأنَّه يطرح نفســه راعيًا للحضارة والحقوق.

إنَّ تشويه صورة الإسلام جهل، والإشارة المستمرَّة إلى قلَّة من التَّكفيريّين الدَّمويّين، واعتبارهم هم صورة الإســلام، هــي مجافية للحقيقة. ففي كلّ الأفكار هناك متطرّفون في تبنّيها، يقومون بممارســات عنيفة، ومن لديــه اطّلاع على الحــركات ذات الطابع الســياسيّ كاف يعرف ذلك. هناك شعوب مسلمة كاملة احتُلَّت لأكثر من قرن، واضطُّهدت من قِبل الغرب. المشــكلة أنَّ الإعلام يتجاوز الوقائع، ويُشــيع روايات مجتزأة وتضليليَّــة، وأنَّ "الأكاديميــا" الوطنيَّــة بعيدة عن الأصالــة، وأنَّ هناك

ضعفًا في التَّأريخ، وعدم تصالح معه. أمَّا على الأرض، فإنَّ الدُّنيا تمتلىء بالظلم والجَور، وهو يطال المُستضعفِين في العالم، ومنهم المسلمون.

في الأزمات الدَّوليَّة، ينبغي تحاشي الصّدام المسلَّح. وعند بروز موقف متأزّم، تُشكَّل خليَّة أزمة، والعمل كي لا يتصاعد الموقف، وحتَّى لا يصل إلى الحرب. لذلك، يُفضَّل اللجوء إلى الهُدنة، والوساطة، والتَّحكيم، والمساعي الطَّيبة، والتَّسوية، وكل أنماط الحل السّلمي، من أجل دفع احتمال الحرب بعيدًا. أمَّا إذا أصرَّ الآخر على خرق التَّعهُّدات، فحينها يُفعَّل فِقه الجهاد، ويُحيَّد خطره ويُعاد الأمن إلى المسلمين.

في التَّجارب التاريخيَّة، وفىَّ المسلمون بتعهُّداتهم، وقد مرَّ سابقًا الكلام في صلح الحديبيَّة، وصلح (الإمام الحسن) عليه السلام، وتحكيم صفّين وغيرها. وهذا سيتكرَّر مع (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي سيلتزم، من جانبه، بما يُتعاهد عليه. هكذا هو الإسلام، قاعدة القِيَم التي لا تهتزّ عند أوَّل مصلحة، وهو الجدار العَقديّ الصُّلب الذي عليه تتكسَّر أمواج الخيانة والانقلاب. وفي نظرة عامَّة، إنَّ الإسلام هو حاجة للأديان الأُخرى، لقوَّته في صدِّ الانحرافات، وعدم تراخيه في الحقّ. وهذا ما يُغضب المستكبرين منه، ويجمعهم عليه، فلا يتوقَّفون عن التآمر ضدَّه، والتَّخطيط لضربه من الخارج ومن الدَّاخل، كما في دعمهم وتغطيتهم للتَّكفيريّين.

المَبحثُ الأوَّل:
تجارب خرق الآخرين للهُدن

كما سبقت الإشارة، فإنَّ الطَّبيعة الهشَّة للأفكار غير الدّينيَّة وإفلاتها لغرائز الإنسان، تجعلها أقلَّ انضباطًا في احترام العهود، بل قد تَعتبر الكذب والخيانة جزءًا من المجد، كما تحدَّث يومًا (بومبيو - Pompeo). في الحروب، يبدو أنَّ الغربيَّين، وهم مثال للمادّيّين، ينكفئون في حال ضعفوا، ولا يتوقَّفون عن التَّمدُّد والمطالبة بالمزيد في حال قدروا. هذا يظهر بوضوح في سلوكهم التَّفاوضيّ، وفي نمط مطالباتهم من الحكومات الأخرى. لا خيارات أمام الشُّعوب: إمَّا أن ترضخ لهيمنة الغرب، أو تواجه الضُّغوط والعُدوان أبدًا.
لم تخُض جيوش الغرب حروبًا إلَّا حين توقَّعت أنْ تربح فيها، أو عندما يكون وجودها في خطر. أمَّا إذا وجدت حزمًا وإرادة في مواجهتها تراجعت، ولجأت إلى وكلاء للإشغال، والعقوبات الماليَّة، والتَّحريض الإعلاميّ. هذا ما سيحصل مع (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهم سيرسلون السُّفيانيَّ، الذي يأتي وفي عنقه صليب، ويدَّعي أنَّ الهدف من مجيئه نشر الأمن والسلام والحق لمسلمي المنطقة، قبل أن تظهر حقيقته. لن يلتزم داعموه بالهُدن، وسينقلبون، ولأنَّ قادتهم غير مستعدِّين للعودة إلى هامش العالم، وغير قادرين على التَّوقُّف عن الاستكبار والامتداد المفرط، فسيُضحُّون

بشعوبهم، في معركة نهائيَّة، تكون الفاصلة بين الحقّ والباطل.
هذا ما يجب أنْ يَلتفت إليه الممهِّدون، في سياساتهم قبل ظهور إمامهم.
لن يقبل المستكبرون ترك المسلمين وشأنهم. لن يحترموا ميثاقًا ولا هُدنة.
يرفعون يدهم ظاهريًّا متى حكموا الشُّعوب، لكنَّهم يتدخَّلون في كلِّ شيء. لذلك، ما نلاحظه أنَّ العَلاقات الدَّوليَّة مَيدان شرس، ظاهره ناعم، وباطنه معارك وجوديَّة. نعم، لدينا قواعدنا الخُلُقيَّة التي تقيّدنا أحيانًا، لكن لدينا المولى -عزَّ وجلَّ- وهم لا مولى لهم.

المَبحثُ الثَّاني:
نظريَّات العدل في الفِكر الحديث

إنَّ العدل هو «ما قام في النُّفوس أنَّه مستقيم، وهو ضدّ الجَور ... وعَدَل عليه في القضيَّة، فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومَعدِلته. وفي أسماء الله سبحانه: العدل، وهو الذي لا يميل به الهوى فيجُور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سُمّي به فوُضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنَّه جُعل المسمى نفسه عدلاً. والعدل: الحُكم بالحق، يُقال: هو يقضي بالحق ويعدل»[1]. والعدل كما عرَّفه (أولبيانوس -Ulpianus)، في التَّعريف

١ - ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٤٣٠.

الشَّـهير، هو "إرادة دائمة دائبة لإيفاء كلّ ذي حقّ حقَّه، ومبادىء الحقوق ثلاثة: أن نعيش خيرّين، ولا نضرُّ أحدًا، وأن نؤتي كلَّ ذي حقّ حقَّه"[١].

إنَّ العـدل من أكـثر القضايا التـي أثارت الجـدل والنّقـاش في التَّاريخ. وتُدرَس مسـألة العـدل في عدد غير قليـل من المجـالات المعرفيَّة، مثل الأديان والفلسفة والاجتماع والقانون وغيرها. والسَّبب في ذلك، أنَّ جميع العقلاء يدّعي الحرص على العدالة، ولا أحد يُبرّر للظُّلم الواضح؛ لأنَّه لو اتَّضح للنَّاس القبيح كما هو والحَسَن كما هو، لما استطاع أيُّ إنسان سويّ أن يرفـض الانحياز للحـقّ. لكنَّ لُعبة التَّضليل كانـت واحدة عبر التاريخ كلِّه، وهي خلط الصَّواب مع الخطأ، والحقّ مع الباطل، فيلتبس الأمر على النَّاس، وتضيع أعمارهم في أوهام وخداع يدركونه في أعماقهم، ويشعرون به، لكن يتكبَّرون عليه، وهكذا يسير التَّاريخ.

أمَّا العدل، فهو صرخة الجميع، وأمل الأُمم، ورغبة العقلاء، ومنطق الحق، ومنطق الأديان، وافتراضات النُّخب، والتَّوجُّه الصَّحيح، وأسـاس المُلك. مع ذلـك، تمتلئ الأرض بالظُّلم والجور، وفيها من يفسـد فيها ويسـفك الدّماء، وما أكثر النَّاس من أهل العدل. المسـافة بين الرَّغبة والواقع هائلة، بمقـدار ما هي المسـافة بين سُـمو السَّريرة البشريَّة وسـوئها. فما أسـهل الكلام، وما أصعب التَّطبيق.

---

١ - جمال البنا: نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي، ص٣٦.

لكنَّ القصَّة تستمرّ، ولا يزال الناس كلُّهم يرفع شعار العدل. تُحاول الأُمم المنضبطة تمرير العدل في التَّشدُّد القانونيّ، والنّظام العام، ونظام المحاكم في القضايا الفرديَّة. لكن هذا غير كافٍ، لا سيَّما مع تبرير هذه الأُمم نفسها لكثير من المظالم الأخرى داخل حدودها وخارجها. في الواقع، لا يُمكن تحقيق العدل من خلال آليَّات شكليَّة في أنظمة الحُكم، ولا من خلال نصوص قانونيَّة، أُصولها استحسانات بشريَّة مِزاجيَّة وكمّيَّة من المصالح. يبدأ العدل، قبل كلّ شيء، بأُناس عُدول، درَّبوا أنفسهم عليه، ووطَّنوا حياتهم من أجله، وهم يعبدون إلهًا مُطلقًا، مطلّع على كلّ شيء، وإليه تُرجع الأمور.

كيف يُمكن إيجاد مثل هؤلاء الأشخاص؟ هذا يكون من خلال منظومة فِكريَّة دينيَّة متماسكة وعقلانيَّة ومستمرّة ومرتبطة بالغيب. هذا المزيج من الأُسس قويُّ الاستحكام، وهو الأكثر صمودًا أمام أهواء النَّفس، والضَّعف البشري، وغواية الدُّنيا. غير ذلك، سيكون الأمر مجرَّد ادّعاءات تسقط، دومًا، عند كلّ مفترق. من هنا، لن يستقيم حال البشريَّة إلَّا بإمام معصوم. تنهض به وبأصحابه العادلين البشريَّة اجتماعيًّا وسياسيًّا ونفسيًّا وعلميًّا وإبداعيًّا ونفوذًا وكمالاً.

في الإسلام، هناك إصرار واضح على قضيَّة العدل؛ حيثُ عُدَّ أصلاً من أصول الدّين. العدل هو صفة من صفات الله -تعالى- لكنَّها أُفردت لأهميَّتها. لم تكن الرَّازقيَّة ولا الخالقيَّة ولا الرَّحمة من أصول الدّين، بل

العـدل، وفي ذلك دلالة عظيمة. «بالعدل قامت السَّـماوات والأرض»[١]، والأنبياء عليهم السلام كلُّهم عدول، وكذلك الأوصياء عليهم السلام. يشترط الإسلام الأصيل العدالة في المرجع، وإمام الجماعة، والشَّاهد. وتحوز مسألة العدالة أهمّية كبـيرة؛ حيث ينبغي عـلى كلّ مؤمن أنْ يكون عـادلاً في ذاته، وأنْ يمتلك مَلكـة نفسـيَّة مانعة مـن ارتكاب الحـرام. في الأصل، وهذا ليـس غريبًا، المُفـترض أنْ يكـون الجميع معصومـين. فالعِصمة مراتـب، وأدناها ترك الحـرام وفعل الواجب. وباعتبار أنَّ ترك الواجب حرام، فيكون كافيًا القول إنَّها -أي العدالة- ترك الحرام، وهذا مطلوب من الجميع. لكن، على أرض الواقع، أصبحت العصمة هي الاستثناء، والمعاصي هي المنتشرة.

يقول (ابن خلـدون) في مقدّمته: «بإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحـوال الرَّعيَّة وتأمن السُّـبل وينتصـف المظلوم ويأخـذ النَّاس حقوقهم وتحسـن المعيشـة ويؤدَّي حقُّ الطَّاعة ويرزق الله العافية والسَّلامة ويقيم الدَّيـن ويجري السُّـنن والشرائع في مجاريها»[٢]. ومن الإشـارات المُهمَّة على أهمّيَّة مبدأ العدالة في اللإسـلام التَّمهيد لمخلِّص آخر الزَّمان. فنجد «هـذا 'المخلِّـص'... أو المهديّ في كل ديـن يتزيّا بـزيّ الدّين. فهو في اليهوديَّـة يعمل لتخليص اليهود وإعلان سـيادتهم عـلى العالم! وهو في

١ - مرتضى مطهري: العدل الإلهي، ص٧٠.

٢ - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٣٩.

المسيحيَّة نقيض ذلك، يقضي على اليهود ويعلن حكم المسيح ... ولكنَّه في الاسلام 'يملأ الدُّنيا عدلاً' بعد أنْ مُلئت جَورًا.»[١]

هذا البون الشَّاسع بين ما يرغبه الإنسان من تحقُّق العدل، وبين ما يمارسه من مظالم، أوقع المُفكِّرين في حيرة كبيرة. انعكس الأمر على نظريَّات العدل. هنا، يُصبح العدل مرتبطًا بالحقّ، وتحديد الحقّ يرتبط بالرُّؤية الكونيَّة وإعمال العقل والنَّظرة المتوازنة للمجتمع، وجرعة ضروريَّة من العلم. أمَّا نظريَّات العدل، فهي، باختصار، على نوعين:

١. **النَّظريَّة المُتعالية للعدل:** وهي تعني أنَّه يجب تحقيق العدل بتمامه، دون استثناءات. فالحياة البشريَّة لا ولن تستقيم إلَّا بالسَّعي الحثيث ليكون كلُّ شيء عادلاً، وأنَّ أيَّ مظهر من مظاهر الظُّلم يؤدّي إلى اهتزاز في حُسن سير البشر. لذلك، ينبغي أنْ ينصَّب النّقاش والبحث على كيفيَّة تحقيق ذلك. وتتبنّى الأديان ونظريَّات العقد الاجتماعي هذه النَّظرة.

٢. **النَّظريَّة المتواضعة للعدل:** بعكس الأولى، تعني أنَّ العدل لا يُمكن تحقيقه كما يقول البشر. فالتَّجارب التي خاضها الإنسان طوال قرون من الزَّمن أثبتت أنَّ العدل حُلمٌ بعيد المنال، ولا يُمكن الوصول إليه. فهي حقيقة يجب تقبُّلها، والعمل بموجبها. ما هو

---

١ - جمال البنا: نظريَّة العدل في الفِكر الأوروبي والفكر الإسلامي، ص٨٠.

البديـل؟ يكون البديل من خـلال تعريف العدل بطريقة السَّـلب، فهـو تخفيف الظُّلم. لذلك، على البشر أن يتوافقوا على المجالات التـي يمكن لهم أنْ ينظّموها ويخفّفوا من الظُّلم فيها، كما هو حال القوانين المحليَّة، لا سـيَّما في المدن، والقانون الدَّولي الإنساني، وأنظمة العمل الخاصَّة، مثلاً. وقد اسـتخدم (أمارتيا سين)، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، تعبير "المتواضعة" لوسم هذه النَّظرة "الواقعيَّة" لقضيَّة العدل.

إسـلاميًّا، هناك قناعة تامَّة بأنَّ العدل سـيملأ الأرض في المسـتقبل، متى تأمَّنـت ظروفه. يجب أن يكون البحث الحقيقي في تحقيق هذه الظُّروف، وليس الشكوى «الواقعيَّة» من دوام الظُّلم في العالم. نعم، بعض المسكّنات مفيد، مرحليًّا، بالعمل على تخفيف الظُّلم، والانضمام إلى توافقات عالميَّة بهذا الشأن، لكن، على المدى الأبعد، من الخطأ الاكتفاء بالحدّ الأدنى من العدل، وتطبيع تعرُّض مليارات البشر للظُّلم والسُّوء.

المَبحث الثَّالث:
أهلُ العهد والأمان في الإسلام

مع أهل العهد والأمان، يَسـلَم هؤلاء، تلتزم الحكومة الإسـلاميَّة برعايتهم

وحمايتهـم، وهو مفهوم مواطنة حقيقيّ، ضمـن الدَّولة الأصيلة. في دولة الإمـام (عـج)، يُحكَم في أهل الأديان بأديانهم، رغم ظهور الإسـلام على الدّيـن كلّه، ربمـا تدريجيًّا؛ حيث تعلو رايته، وينكشـف كماله، خصوصًا بعد نزول (السَّيد المسـيح) عليه السلام، الذي يقوم بدور عظيم في هداية شرائح واسـعة في العالم المسـيحي. هنـا تبرز عظمـة الدَّولـة المهدويَّة، فهي، في هـذا المقام، فَيض وليسـت فرضًـا. فتكون الموعظة الحسـنة مطلوبة على يد (المسـيح) عليه السلام، ويكـون الاقتصاص ممن أُلقيـت عليهم الحُجَّة مطلوبـة لإقامة العدل. وبين الهداية والعدل، تكتمل أركان الدَّولة الوليدة؛ فيأمن الجميع على أنفسـهم أمانًـا لم تعهده البشريَّة طوال تاريخها، وعلى مستوى الأرض والكون. تختفي الحدود، وتُلغى التَّأشيرات، وتُرفع القيود التّجاريَّـة، ويُصبح الإنسـان عالميًّا لا مُعولمًا، ويمـرّ جيل ينسى ما معنى الحرب، فتتأصَّل رُوح السَّـلام في المجتمع البشري، وهي عتبة لم تتحقَّق من قبل.

أمَّا الكافر الحربيُّ والنَّاصبيُّ، فهما خطر على المجتمع الإنساني، وستبرز الأحـكام المتعلّقـة بهما بشـكل أجلى في آخـر الزَّمن. فالتَّقيَّـة لن تكون ضروريَّـة؛ حيـث الرُّعب بـات في صفّ أهل الحـق، ولا خطر على حياة المؤمنين بسـبب آرائهم. لذلـك، ينتهي زمن أصحاب السُّـلوك المعادي للإنسـانيَّة ويُعاقبـون عـلى ما اقترفوا. هذا ما مارسـه أهـل الباطل لآلاف السَّنوات، لذا، من هذه النَّاحية، يكون «الإحساس بضرورة التَّعامُل بالمِثل

ضمــن علاقات النَّاس ... السّــمة الأســاس في أي نظريَّــة للعدالة تُطرح مســتقبلاً ويُراد لها أن تكون مقنعة»[١]. أكــثر من ذلك، فإنَّ الحقد هو آخر مراحل الفشــل، والنَّاصبي والمحارب يصيبهم الغباء الاستكباري والحقد الأعمــى، فيتحقَّق بذلك مســوّغ القضــاء عليهم؛ حيث ينقضــون الهُدن، ويُخالفون قواعد التَّصرف الحكيم. إنَّ نظريَّة التَّدافع القرآنيَّة ستكون كفيلة بإلجــاء أهل الباطل إلى نهايتهم، حيث هناك أمرٌ أكيد جدًّا: إنَّ نشر العدل التَّام في العالم لا يتمُّ إلَّا بوسائل عادلة. هذا يعني أنَّ الإمام عليه السلام لن يظلم أحدًا، وأنَّ من أُهدر دمه يستحقُّ ذلك، وأنَّ من يلتزم بقوانين الدَّولة العادلة والعالميَّة يأمن نفسه.

١ - ديفيد جونستون: مختصر تاريخ العدالة، ص٢٦٩.

■■

الفَصلُ السَّادس:

الإتمام العام لمكارم الأخلاق بعد تحرير العالم

بُعث النَّبي ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق، وما أشبه الابن بأبيه. فالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يُشابه جَدَّه (الرَّسول الأكرم) (ص) من نواحي كثيرة. كلاهما انتُظر، وتُحُفّظ عليه، ولُوحِق، إلى أنْ خرج النَّبي ﷺ بالدَّعوة، وابنه يخرج بإحيائها، بعد طول غُربتها. كلاهما يواجهان العرب واليهود والرُّوم، وكلاهما ينجحان في تأسيس ما حُمّلا. ذلك عدا عن تطابق اسميهما، وهدفهما، فكان الإسلام مُحمَّديَّ الوجود، حُسينيَّ البقاء، ومهدويَّ القِطاف.

قام النَّبي ﷺ بنشر الرسالة، وقام أوصياؤه بحفظها في أصعب الظُّروف، إلى أنْ وصلت الأُمَّة إلى نقطة يُمكن لبعضها الاستمرار في نقل الرّسالة المحمديَّة الأصيلة رغم غيبة المَعصوم. جرى هذا على مراحل، من البدء بتهيئة الشّيعة للإفتاء وبناء الجهاز الخاص بهم في عصر الأئمَّة السَّابقين، وصولاً إلى الغيبة الصُّغرى؛ حيث نظام السُّفراء، وانتهاءً بالغيبة الكُبرى، حيثُ نظام الفقهاء. في فترة الغيبة، تتولَّد فرص نضج الولاية للمعصومين

من الأسفل، فيُنتج المجتمع طاقات نوعيَّة ووعيًا أكمل وإخلاصًا متزايدًا، في فترة زمنية مناسبة، فيعود سيد العالم إلى الضَّوء، ويظهر أمام الجميع، ويُحرّر العالم، بمعونة أنصارٍ تمايزوا بجهدهم الخاص، فتكتمل الحُجَّة بذلك على الجميع.

حين يتكامل المجتمع وتتوفَّر عناصر النجاح، تنهض الدولة المهدويَّة بقوة. فتصل البشريَّة، للمرَّة الأولى في تاريخها، إلى تمام مكارم الأخلاق، على يد آخر الأوصياء الأحياء. سيكون هذا الحدث جللاً، وغير مسبوق؛ بحيث يبدأ التَّاريخ الصَّحيح، وينتهي التَّاريخ الكاذب، الذي مجَّد القتلة وقِيَمهم، وأهان الصَّالحين وقِيَمهم. فتتجلَّى الإنسانيَّة في أبهى مراتبها، ويَجِدُّ الأمرُ في أعظم صوره.

المَبحثُ الأوَّل:
خُصوصيَّة الدَّولة المهدويَّة

تختلف دولة آخر الزَّمان جذريًّا عمَّا سبقها من تجارب ونماذج. هي دولة ناجحة أبدًا، ولن يُكتب لها الفناء. وهي الدَّولة الوحيدة القابلة للحياة والاستمرار؛ حيثُ لم تنجح أمَّة أو إمبراطوريَّة أو منظَّمة أو حكومة غيرها في البقاء. اندثرت تلك السُّلطات كلُّها وغرقت في الزَّمن، وأصبح الكلام

في دوريَّة التَّاريخ أمرًا مُسلَّمًا به، ولكلّ أُمَّة أجل.

ويمُكن تلخيص مواطن الخصوصيَّة هذه في بعض النّقاط، على الشَّكل الآتي:

١. **الزَّمن:** هي دولة آخر الزمان، وآخر الدُّول، التي لن تليها دولة. هي التي ترث الأرض، وسبقتها كل تجارب البشر، فلا يبقى أحد لم يجّرب، هو أو أسلافه، الحُكم قبلها؛ فتكتمل الحُجَّة بذلك على الجميع، ولا يستطيع أحد القول إنَّه لو حكم لفعل الشَّيءَ نفسه، من العدل والعِلم والقوَّة والدَّوام والنَّجاح. أكثر من ذلك، قد تُطوّع هذه الدَّولة الزَّمن، في تطوُّر علميّ فائق، وهو بحث آخر. فالمهم، دولة العدل الإلهي ستكون مختلفة؛ حيثُ تنشأ في ظروف موضوعيَّة، لتنطلق وتتفوَّق بالإتقان البشري وقبله بالتَّسديد الإلهي، برئاسة المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي يُضفي بوهج كماله كمالاً على تلك الدَّولة. إنَّ موقع حكومة (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف في ترتيب إمبراطوريَّات التَّاريخ يجعلها خاتمة الرئاسات العامَّة، ما يُمكّنها من إعادة كتابة التَّاريخ، والتَّصريح بحقيقة ما سلف من نماذج حكم بشريَّة أغلبها فاسد.

٢. **العدل:** من الواضح أنَّ الدَّولة المهدويَّة تتميَّز بصفة عظيمة الأهمّيَّة، وهي العدل. ليس أيُّ عدل، بل العدل المُطلق على المستوى البشري الأرضي. هي دولة العدالة التَّامة، بقيادة المعصوم العادل، ومؤازرة حكَّام عدول. ليس هناك جَور فيها،

ولا ظلـم، لا فـردي ولا مجتمعي. سـتخلو من أي سـلوك معادٍ للمجتمع، وستتَّسـق أمـور النَّاس فيها على خـير مثال. هذا ليس كلامًا حالمًا ورغبويًّا، هذا كلام الله، الذي ما خلق الأرض لتكون، أبدًا، مسرحًا للظُّلم والفسـاد. بل هذا هو كلام حقيقي، سيحصل في المسـتقبل، وهـذا إيمان المطَّلعـين على الحقائـق، الذين لا تُثبطهم تراكم تجارب الفشل البشريّ، وكثرة ادّعاءات الكفَّار حول العدل والحريَّة. سيكون العدل في زمان الدولة المهدويَّة ملموسًا وظاهرًا؛ بحيث يصبح ثقافة خلال جيل أو جيلين، فيستغرب أبناء الأجيال اللاحقة حديث أجدادهـم أو التَّاريخ بوجود مظالم على النَّحو الذي اعتدنا سماعه كلَّ يوم في زمننا.

٣. **التَّقوى:** على خلاف كثير من الدُّول والحُكَّام الذين سـبقوا، تتميَّز القيادة العالميَّة في آخر الزَّمان بصفة اسـتثنائيَّة دائمة وغير مدَّعاة، وهـي التَّقوى. هي دولة تقيَّة وكريمة، من رأسـها إلى أجهزتها إلى المجتمع الذي سـتُديره. كلُّ من فيها، معنيٌّ بترك الحرام، مع عدم إغفال وجود خروقات؛ لأنَّ البشر يبقون مسـؤولين عن أفعالهم. إنَّ توفُّـر صفة التَّقـوى العامَّة في المجتمع سـتفتح أبواب الخير كلّـه عليه، وتجعل له مـن أمره مخرجًا، ويرزقـه الله من حيثُ لا يحتسـب. التَّقوى هي معيار التَّفاضل بين النَّاس، وليس اللون أو الانتـماء أو الأرض أو المال أو الجمال أو غـيره. التَّقوى مرتبطة

بجهـد الإنسـان الإرادي، أي باختياره، وليسـت صفة موروثة من الأهـل أو النّظـام الاجتماعـي الظَّـالم. يقتضي العـدل أن يكون أسـاس التَّمييز بين النـاس إرادتهم وجهدهم، وليس شـكلهم أو ما تحويـه جيوبهم. فمتى ما كانت التَّقـوى هي هدف المجتمع، واسـتمر النَّاس على ذلك لمرحلة معتبرة من التَّاريخ، فإنَّ النَّتيجة سـتكون غير عادية، وتتَّسـق عنـاصر تكوينيَّة غـير مألوفة للبشر، تجعل حياتهم أكثر سـعادة، وأزماتهم سـهلة المعالجة. ستختفي أعراض الضَّنك والضُّغوط في المجتمع، ويتناسـل السَّلام في كل أرجاء المعمورة. ليسـت قضيَّة التَّقـوى تفصيلاً، وقد خسر النَّاس كثيراً بسبب بعدهم العام عنها.

٤. **السَّـيطرة:** للمـرَّة الأولى في تاريخ البشريَّة، يقـوم بأمرهم جميعًا رأسٌ واحد. سـيصل النَّاس إلى الدَّولة العالميَّة التي لم تتحقَّق في السَّـابق. نعم، يجري التداول أحيانًا بدولـة (ذي القرنين) أو دولة (سـليمان النّبـي) ﷺ، لكن ليس هناك حسـم في هـذه النّقاط. الأظهـر أنَّ المجتمـع الإنسـانيَّ لم يتوحَّد منذ قيـادة (آدم) ﷺ الأولى، وربمَّا (نوح) ﷺ الثَّانية، تحت رئاسـة واحدة، خصوصًا عندما زاد عدد البشر، وتوسَّـع انتشـارهم. بـذل كثير من الأباطرة جهـودًا كبيرة للتَّسـيُّد على العالم، ومـا فلحوا. أعلـن (فوكوياما Fukuyama-) نهاية التَّاريخ، بالنَّموذج الأمريكي، قبل أن يتراجع

كلامًـا حالمًا ورغبويًّا، هذا كلام الله، الـذي ما خلق الأرض لتكون، أبدًا، مسرحًا للظُّلم والفسـاد. بل هذا هو كلام حقيقي، سيحصل في المستقبل، وهذا إيمان المطَّلعين على الحقائق، الذين لا تُثبطهم تراكم تجارب الفشل البـشريّ، وكثرة ادّعاءات الكفَّار حول العدل والحريَّة. سـيكون العدل في زمـان الدولة المهدويَّة ملموسًـا وظاهرًا؛ بحيث يصبـح ثقافة خلال جيل أو جيلين، فيسـتغرب أبنـاء الأجيال اللاحقة حديـث أجدادهم أو التَّاريخ بوجود مظالم على النَّحو الذي اعتدنا سماعه كلَّ يوم في زمننا.

التَّقـوى: على خلاف كثير من الدُّول والحُكَّام الذين سـبقوا، تتميَّز القيادة العالميَّـة في آخر الزَّمان بصفة اسـتثنائيَّة دائمة وغير مدَّعاة، وهي التَّقوى. هي دولة تقيَّة وكريمة، من رأسها إلى أجهزتها إلى المجتمع الذي ستُديره. كلٌّ من فيها، معنيٌّ بترك الحرام، مع عدم إغفال وجود خروقات؛ لأنَّ البشر يبقون مسـؤولين عـن أفعالهم. إنَّ توفُّر صفة التَّقـوى العامَّة في المجتمع سـتفتح أبواب الخير كلّه عليه، وتجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه الله من حيثُ لا يحتسـب. التَّقوى هـي معيار التَّفاضل بين النَّـاس، وليس اللون أو الانتـماء أو الأرض أو المال أو الجـمال أو غيره. التَّقوى مرتبطة بجهد الإنسـان الإرادي، أي باختياره، وليسـت صفة موروثة من الأهل أو النّظام الاجتماعـي الظَّـالم. يقتضي العدل أن يكون أسـاس التَّمييـز بين الناس إرادتهـم وجهدهم، وليس شـكلهم أو ما تحويه جيوبهـم. فمتى ما كانت التَّقوى هي هدف المجتمع، واستمر النَّاس على ذلك لمرحلة معتبرة من

عن ذلك. مع هذا كله، بقي حُلم السَّيطرة على العالم بعيدًا؛ لأنَّه يتطلَّب مواردًا متنوّعةً، وأصولاً ليس سهلاً دوام توفُّرها. في الدَّولة المهدويَّة، سينجح هذا الهدف، ويرث الحقُّ الأرض كلَّها، وتُلغى الحدود، ويتوحَّد القانون الحاكم. هذه ميزة استثنائيَّة.

٥. **الأمن:** للدَّولة المهدويَّة خصوصيَّة استثنائيَّة، وهي الأمن العام. فرغم اتّساعها وشمولها الدُّنيا كلّها، فإنَّ الأمن فيها سيكون مستتبًّا تمامًا، وسيشعر النَّاس جميعًا بالقدرة على ضمان سلامتهم الجسديَّة والماليَّة والنَّفسيَّة والصّحيَّة طوال الوقت. هذا ليس تفصيلاً بسيطًا، فلطالما استنفدت الدُّول موارد ماليَّة ضخمة لحفظ الأمن ضمن إقليمها، ومع ذلك، يختلُّ الاستقرار العام عند أي حادثة، ويستوجب التَّشدُّد في السّياسات لإعادة توثيقه. يُلاحظ أنَّ أجهزة فرض القانون، لا سيَّما في المدن الكُبرى في الدُّول المهيمنة، تسهر وتُنفَق الأموال الباهظة، من أجل إدامة حالة الأمن، وتحويل الالتزام بالقواعد القانونيَّة إلى ثقافة عامَّة، وتغليظ العقوبات على المخالفين. مع ذلك كله، ينحسر الأمن كلَّما خرج من المدن والسواحل، ويختفي في العَلاقات الدَّوليَّة. فالدُّول التي تحقّق الهدوء ضمن مناطقها، تفعل عكسه خارج حدودها. في هذا العالم، هناك معضلة أمنيَّة، لا تزال بلا حلّ، ولم تنجح نظريَّات "الأمن الجماعي" و "توازُن القُوى" في حلّها. أمَّا في

دولــة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالأمر مختلف. ســيعمُّ الأمن العالم، ويطمئن الجميع إلى جدار الحماية الفعَّال والأبدي الذي يرعى شــؤونهم؛ بحيث يصلون إلى مرحلة يســتغربون فيها ما يُروى عن ماضٍ خلا من الشُّــعور بالأمن. شرط هذه الميزة، أي الأمن، هو وجود قيادة صالحــة، بســلوك صالح، مطابق لسُــنن الوجــود الدُّنيوي، الذي خلقه رب العالمين.

٦. **القيــادة:** تتميَّــز دولة آخــر الزَّمان بأنَّ من يرأســها هــو المعصوم الأخير، وليس شــخصًا عاديًّا. إنّ وجود الإمام المهدي عليه السلام على رأس الحكومــة العالميَّة هو أمر فائــق الأهمّية والدّلالات. تحت قيادته، ليس هناك مجال للخطأ، ولا خطأ دون مسؤوليَّة ومعالجة. عندما يكون الحاكم الأعــلى وريث الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وهو مــن راقب بحِلم وأناة لا يوصفان تتــالي الدُّول في غيبته الطويلة، فإنَّ النتيجة تكون فائضًا في الحكمة وحسن الإدارة. هذا القائد لا يُفاجئــه شيء، ولا يباغته أمــر، ولا يفوته تفصيل. هو مُطلق العلم البــشري، والشَّــجاعة الإنســانيَّة، والخوف من الواجــب المُلقى على عاتقــه. نعم، في التَّاريخ، حكم أنبيــاء وأوصياء وصالحون، لكــن على نطــاق محدد، ولزمــن محدَّد؛ حيثُ طــوت صفحات عدلهم مطامع البــشر. أمَّا الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيقود الأُمــم بقوَّة، ويعينه على ذلك (السَّــيد المســيح) عليه السلام، و(الخــضر)، وغيرهم، ومنهم

ثُلَّــة من الصَّحب المؤمنين، الذين لا يتقدَّمون على سـيّدهم، ولا يستأخرون. مع هذه التَّركيبة الاسـتثنائيَّة من أرفع نوعيَّات الطُّهر، يستقيم حال الإنسـان، وتدوم دولة الحق. فهم مُضحُّون من أجل قضيَّتهـم، ويرخصـون الأرواح من أجل العـدل، ويجتهدون في طاعـة إمامهـم، ولذلك، تتحقَّـق للدَّولة المهدويَّـة عناصر البقاء والنَّجاح والتَّميُّز.

٧. **الرَّجعـة:** من أصول الاعتقـاد الإيمان بالرَّجعة، ففـي زمن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، قبـل ظهـوره وبعده، يعـود إلى الحياة مـن مُحّض الإيمان محضًا، ومن مُحّض الكفر محضًا. إنَّ عودة هؤلاء إلى الحياة أمر استثنائيٌّ، وليس عصيًّا على قدرة الله -تعالى- المطلقة. فيثير الأمر العجب، بأنَّ أشخاصًا من أزمنة سابقة عادوا للعب دور، أو تصفية حسـاب، بعد مرور الوقت. لكن يمُكن القول بأنَّ مقتضى العدل، وقاعدة اسـتجابة الدُّعـاء، وكرامة المؤمنـين، وتظلُّم المقهورين، يوصل إلى أهمّيّة الرَّجعة، وما لها من حُجيَّة على الأحياء المواكبين للظُّهور المبارك.

٨. **العلم:** تتميَّز الدَّولة المهدويَّة بالتَّطوُّر العملي التَّام؛ بحيث لا يبقى منه ما لم يُكتشـف. هذه القضيَّة مهمَّـة، خصوصًا لأولئك الذين ضلُّـوا وافتتنـوا بتفوق الغـرب التّكنولوجي. فمـن أهم مجالات اسـتلاب العقـول في زمننـا المعاصر هي إشـكاليَّة تقـدُّم الكفرة

علميًّا، وسيادتهم على العالم بهذا التَّفوُّق الذي لم تشهده البشريَّة في تاريخها المعروف، رغـم عدم اليقين بعدم وجود أُمم تقدَّمت في السابق، على الأقل في بعض المجالات، أكثر من اليوم. باعت نُخب الغرب كثـيراً من الكلام عن الرَّبط بين الاختراعات العلميَّة وبـين تفوُّق الرَّجـل الأبيض، مـع أنَّ كلَّ ذلك يُناقَـش. لكن في الواقع، فما يعرفه النَّاس اليوم من تقدُّم علمي، سـببه أوَّلاً الصّراع في الحـروب؛ حيـث إنَّ الغربيّين أُمم مقاتلـة، وإنْ حاولوا إخفاء هذه الحقيقة في سرديَّاتهم ومتونهم الأكاديميَّة وفنهم. فالاستخدام المدني لتطوُّر وسائل القتل كان لاحقًا على الحروب التي أجبرت الغربيّين -في لحظة تاريخيَّة مناسـبة، وغيـاب البديل، وإيرادات احتـلال العالم- على بـذل الجهد لتطوير الأسـلحة. في النتيجة، يُسلّط الغربيُّون والمنبهرون بهم من طبقات الأُمم الأخرى الضَّوء على موطـن الإنجاز (العلمـي)، ويبعدونه عن مواطـن التَّخلُّف الحضـاري الحقيقيَّـة. لذا، وفي ظـلّ كثرة الكلام عـن العلم في زمننـا، فـإنَّ الدَّولة المهدويَّة ستسـحق هذه الادّعـاءات، وتمنح البشريَّة قفـزة علميَّة هائلة للغاية، في وقـت قصير، يطول الوقت قبل اسـتيعابهم لها؛ فتنتهي مغالطة السُّؤال حول العلم، كما يُقدَّم في أيامنا، ويعود إلى مستقرّه، بإدارة أعلم أهل الزَّمان.

٩. **النَّمـوذج:** الدَّولة المهدويَّة هـي النَّموذج التَّام للعمل السّـياسي

الصَّحيح، وهي أمل الجميع من بدء البشريَّة. ستنجح هذه الحكومة على الصُّعُد كافَّة، الماديَّة والنَّفسيَّة والجسديَّة والبيئيَّة وغيرها. سيكون نجاحًا تامًّا، وهو ما يثير في الرُّوح التوق لرؤيتها والعيش في كنفها. لذلك، من يريد أن يُلامس قلبه كمال النَّموذج المهدوي، فعليه أن يسعى ليكون هو بذاته نَموذجيًّا، وفي أسرته نموذجيًّا، وفي مجتمعه نموذجيًّا. النَّموذجيَّة تتطلَّب نموذجيّين، ولا شكَّ في أنَّ القائد الأعلى، أي الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هو النَّموذج البشريُّ الأسمى. سيرتاح الجميع لاتّساق الأمور، وتتطابق أحلام اليقظة مع الحقيقة، والرَّغبة مع الواقع.

١٠. **السَّلام:** للمرَّة الأولى في تاريخ العَلاقات الدَّوليَّة والسّياسات الدَّاخليَّة، تصل البشريَّة إلى السَّلام التَّام في الدولة المهدويَّة. هذا السَّلام -وهو العملة النَّادرة، بل المستحيلة- لم تحظَ بها الإنسانيَّة أبدًا، إلَّا لفترات متقطّعة. شهدت البشريَّة ثلاثة عشر عامًا من الحروب مقابل سنة من السَّلام، ونجد مئات التَّعريفات لمصطلح الحرب، بينما تقل جدًّا تعريفات السلام. اعتاد النَّاس على الأزمات والصّراعات، إلى الحدّ الذي بات مألوفًا الكلام عن الخلافات، وغير مألوف الحديث عن واقع السَّلام. نعم، في الخطاب العام، الكلُّ يرمي كلامه عن السَّلام، وبناء السَّلام، وحفظ السَّلام، وقوَّات السَّلام، والأمن والسّلم الدَّوليَّين. لكن،

في الواقـع عـلى الأرض، يظهر العـالم كغابة، يـأكل القويُّ فيها الضَّعيف. ففي العلاقات الدَّوليَّة، خصوصًا في زمن هيمنة الغرب، انتشرت ثقافة متوحشـة للغاية في فَهم النُّفوذ والمصالح والأمن. عليـكَ أن تكون قويًّا بذاتك أو مع حلفائـك، أو تُقهر بلا رحمة، ولا عـزاء للمهزومين. هذه هـي الحقيقة، فتجد الـدُّول الكُبرى، دائمة العضويَّة في مجلس الأمن، مثلاً، وهو المنوط به أوَّلًا حفظ الأمن والسّلم الدَّوليَّين، تحتل في الوقت نفسه، المراتب الخمس الأولى في تصدير السّـلاح، وتجدها تُنفق أرقامًا فلكيَّة في تطوير ترسـاناتها العسـكريَّة. في هذا العالم، ينتشر الظُّلم باسم السَّلام، فتكتمـل أركان الفتن. أمَّا في دولة (الإمام القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالسَّـلام سيُشرق عادلاً وحقيقيًّا ودائمًا. فالله -عزَّ وجلَّ- هو السَّلام، وعلى الأرض سـيتحقَّق مثاله، على يد خليفة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف. سـتكون تجربة هـذا السَّـلام رائعـة، فينتشر الأمـن الفعليُّ، ولا يجـرؤ أحد على الانقلاب عليه، وسـينحصر تطبيق المصالح ضمـن دائرة ترعاها الشَّريعة بعيون نافـذة، وأدوات عقابيَّة فاعلة، عند أي تجاوز على حسـاب الآخرين. سـيتلاشى العُنف الفـرديُّ والأسريُّ، بل تأمن وحوش الأرض التي تنهض من جديد، على أحسن هيئة ونظام.

١١. **الانفتـاح على العـوالم الأُخرى:** ما يرد من إشـارات عن مرحلة ما بعد الظُّهور المبارك، يظهـر عالمًا من نوعٍ مختلف. فيه قد يتواصل

البشر مع كائنات أُخرى، لم يعرفها إلى الآن بمعناها الفيزيائي الواضح. في القرآن الكريم، هناك ذكر لأجناس أخرى، مثل الملائكة والجن والحور العين والوِلدان المخلَّدون، عدا عن ظهور الحياة في كلّ شيء في مرحلة ما بعد الموت، والتَّسامي عن الوجود المادي المألوف لدينا هنا في عالم الدُّنيا. حتَّى في الأرض، فهناك الحيوانات، بفئاتها الكثيرة، والنباتات أيضًا. في ملك (سليمان النبي) عليه السلام، ظهرت قدرة الله تعالى، وتخالط عالمَا البشر والجن، وهي سابقة. لذلك، ليس من الصَّعب التَّخيُّل أنَّ مُلك خاتم المعصومين هو أقل، وينبغي له ما كان محالاً في المرحلة الاعتياديَّة من حُكم غير المعصومين. ونجد في بعض النُّصوص دلالات على هذا الأمر، والكلام عن عوالم أخرى، من قبيل (جابلقا) و(جابرسا)، وربمَّا غيرها. في تلك المرحلة، سيُعاد كتابة تاريخ البشر الحقيقي، ومستقبلهم، بدءًامن البشر الذين سبقوا (آدم) عليه السلام، كما في بعض الرُّوايات، إلى المخلوقات المُتنوّعة التي انقرضت أو بقيت، كالجنّ والنَّسناس، وما لا يَعلم بشأنه إلَّا الرَّاسخون في العلم. حينها، لو صح هذا الكلام، سيكون البشر أمام لوحة جديدة في الوجود، وقد تنفتح العوالم الأُخرويَّة على عالم الدُّنيا، ولا ندري ما يخبّئه أقصى العلم في ذلك، وهو بحث آخر. وفي الخُلاصة، تتميَّز دولة (الإمام المهدي) عليه السلام بالتَّواصل مع عوالم مختلفة، ربمَّا في أبعاد أخرى،

وهذا ما يوسّـع مفهوم العَلاقات مع الشُّـعوب الأخرى، إلى مفهوم غير موجود حاليًّا، وهو العَلاقـات مع المخلوقات الواعية الأخرى من غير البشر. وهناك من المحقّقين من يتناول قضايا (ذي القرنين) و(يأجوج) و(مأجوج)، مثـلاً، من هذه الزَّاوية، وكذلك أسرار الأمم البائدة مثال (قوم عاد)، الذين تميَّزت مدينتهم "إرم" بوصف خاص، فهي لم يُخلق مثلها في البلاد. أُجّل كشـف تلك الأسرار إلى ما بعد زمـن الظُّهور، وفي ذلك عبرة؛ فالبشر يجهلون أغلب الأشـياء، وما العلـم العصريُّ سـوى نقطة في بِركة كبيرة، سـيكون محل تندُّر في المستقبل.

١٢. **الاتّسـاق مع الطَّبيعـة:** إنَّ الشَّرائـع الإلهيَّة هي الواقع المناسـب للبـشر ولهذا العالم، والله هو أعلم بالإنسـان من نفسـه، ويعرف مصلحتـه وخيره أكثر مـن أي وجود آخر في هـذا الوجود. العلم بهذه الحقيقة يوصل إلى التَّسـليم له -تعالى- في رسـم مصلحتنا وطريقـة حياتنـا، والتَّخـلي عـن أي رأي "أناني" خـاص لا يبلغ عُشر معشـار العلـم الإلهي المُطلـق. والله -عزَّ وجلَّ- مسـتغنٍ عن الخلائق، فلا يصـدر عنه إلاَّ الجمال الذي يتجلَّى على البشر كرمًا ورحمةً وعدلاً ورزقًا. من هنا، فإنَّ الإسـلام هو المُطابق التَّام لمصلحـة البشر، ولوجودهم على هـذه الأرض، ولمصيرهم بعد الموت المحتم. من لا يعجبه الإسـلام، فليأخذ بشرائعه كما هي،

وليُسمّها ما يشـاء؛ فالتَّوفيق مرتبط بها، والشَّقاء متعلّق بالإعراض عنهـا. هذه هي معادلة الدُّنيا، التي أرادها الله -تعالى-. عند تطبيق الإسلام كما هو، وليس كما شوَّهه المُغرضون عبر القرون السَّابقة، فالجماعة الإنسـانيَّة سـتصل إلى كمالها وسعادتها القُصوى؛ لأنَّ حضارتها ستتَّسـق مـع الطَّبيعـة والدُّنيا والكون. سـيحل التَّوافق والانسجام في الأشياء والحيوانات والنباتات والفضاء، وستخرج الكنوز، وتزدهر الحياة، ويعمُّ السكون، وتنتشر السَّعادة في الهواء، ويختفـي التَّوتُّر، ويغرق المجتمع في تأمُّل الجمال الإلهي، الذي أُسبغ على عالم الأرض. إنَّ فَهم حقيقة هذا الاتّساق يصعب علينا في زمننا الرديء؛ حيث اعتدنا على أنواع الفساد والاختلالات.

١٣. **الاتّصال بالقيامـة:** الدَّولة المهدويَّة متَّصلـة بالقيامة، ونهاية عهد الإنسـانيَّة على هـذه الأرض. فهـي الدَّولة الخاتمـة، وبها يُكتب الفصل الأخير للبشريَّة في هذا العالم المادي. الأمور بخواتيمها، ويضحك كثـيراً من يضحك أخيراً، والغايـة هي محرّك الأعمال. لذلك، تتميَّز حكومة (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف بهذه الصّفة، التي يترتب عليها الكثـير؛ إذ إنَّ أصـل قيامها هو من علامات القيامـة؛ لأنَّها الدَّولة الأخـيرة للبشر، بغـضّ النَّظر عن مـدَّة بقائها، وهـو موضوع فيه كلام عـن تطوُّر مفهـوم الزَّمن فيها. هي تمهّد ليوم الحسـاب من خـلال تمكين نموذج عدل عظيم، يرتبـط بالعدل الإلهي المطلق

في منازل الآخرة؛ فتسبق ممارسة العدل في الدُّنيا، ممارسته في القيامة. وربمَّا تبدأ أعراض الآخرة بالبروز تدريجيًّا بعد عهود رجعة المعصومين، فتتحقَّق الغاية من الخلق، وينتهي الجعل الإلهي بخلق خليفته على الأرض.

المَبحثُ الثَّاني:
نظريَّة الامتلاء

يملأ (الإمام المهدي) (ع) الأرض قسطًا وعدلاً، بعد أن مُلئت ظُلمًا وجَورًا. الكلُّ يعرف هذا الحديث، ويفهم ظهور معناه. فهو يشير إلى مقدّمة، وهي امتلاء الأرض بالظُّلم، لِيليه الامتلاء بالعدل؛ فتنتقل الدُّنيا من أقصى الظُّلم إلى أقصى العدل، في عمليَّة فائقة الصعوبة، ومكثَّفة إلى أقصى حدّ، في أقل زمن، في مَهمَّة فشل في تحقيقها الجميع. لذلك، من المُهم فَهم هذا الحديث المنتشر، والعلامات تتجلَّى في وقتها.

العبرة في الحديث ليست كميَّة الظُّلم ونوع ه في التَّاريخ البشري، والظُّلم «يدفع النَّاس حقًا إلى حمل السّلاح»[1]. فالأزمنة الفائتة شهدت مظالم لا

١ - مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان: أدوات سيادة القانون لدول ما بعد الصّراع: رسم خريطة قطاع العدالة، ص١.

تُعـدُّ ولا تُحصى، بل قد تكون أكثر عُنفًا وقسـوة من المظالم التي تحصل اليـوم. في المـاضي، حصلت إبـادات ومجازر وتعذيب وسـجون وقهر وعُنف ومطاردات وأذى لا حدود له، ومع ذلك لم يأتِ المخلّص. من يقرأ التَّاريخ، سيُصدَم من حجم سفك الدّماء والفساد فيه، وسيدرك أن لا جديد تحت شمس الطَّبائع البشريَّة الشّريرة. هناك طُغاة كثيرون في التَّاريخ، وقد مارسوا أبشع أشكال الجَور، وهذا أمرٌ معروف.

يتميَّز تاريخنا المعاصر بأمرين في هذا الإطار:

١. قـوَّة الأسـلحة: مـن الجـلي أنَّ الأسـلحة النَّارية غـيَّرت مجرى التَّاريخ، فأصبح القتال عن بُعد، وقلَّ الالتحام المباشر، واختفت المبارزات، ولم تعُد الجيـوش تتراصف في قِبال بعضها البعض، وفـات زمن القِلاع، وأصبحت السُّـيوف والنّبال والرّماح والدُّروع للزّينـة. باتت الشَّـجاعة أقلَّ أهمّية في الاشـتباك العام؛ لأنَّه بات ممكنًا لشـخص مدرَّب أن يضغط عـلى مفتاح صغير، ليقتل كثيراً من الأشـخاص، من دون أن يرى نتيجة فعله. سـاوت الأسـلحة النَّاريَّة بين الشُّـجاع والجبان، وأصبحت الحروب، بالنّسـبة لمن يملك تفوُّقًا جويًّا، شـبه «خالية من المخاطر»، كما أطلقوا عليها. مـع تطوُّر أسـلحة الدَّمار الشَّـامل، باتـت الأمور أكـثر خطورة، والحرب بين الدُّول المالكة للأسـلحة النَّوويَّة يُمكن لها أن تؤدي إلى إفنـاء البشر للمـرَّة الأولى في التَّاريخ. بهـذا المعنى، لم يعد

القتل مباشرًا، لكنَّ سفك الدّماء أصبح فادحًا. قد يحدث للبشريَّة أن يفنى ثُلثاها بسبب حرب تستمر لساعات أو أيَّام قليلة، فيكون هذا الأمر مؤشّرًا على سعة الظُّلم والجَور.

٢. تطوُّر تكنولوجيا الاتصال: خلال مئة عام الماضية، حصلت قفزات مشهودة في وسائل الاتّصال، من الهاتف إلى المذياع إلى التلفاز إلى الإنترنت إلى وسائل التَّواصل الاجتماعي إلى وعود الذَّكاء الاصطناعي. يشهد قطاع التَّواصل ثورات متتالية، تغيّر شكل الحياة دون توقُّف؛ فبات بإمكان النَّاس أن يتحدثوا من أي مكان على الأرض تتوفر فيه خدمات الاتّصال. لكن في المقابل، ساهمت وسائل التَّواصل الاجتماعي في المساواة بين العالم والجاهل. هذه تطوُّرات عصريَّة، وهي لا زالت مستمرة. يختلف الأمر جذريًّا بالمقارنة مع الماضي،؛ حيثُ شكَّلت الجغرافيا حاجزاً كبيراً أمام تواصل البشر بين بعضهم بعضًا. فافترقت الأمم، وتنوَّعت اللغات، وتغايرت الثَّقافات بين جبال الأرض وسهولها وبحارها وأنهارها ومواطن الخصب فيها. أمَّا اليوم، فهناك عولمة لثقافة الغرب، تسعى للهيمنة على عقول النَّاس، وتُحقّق نجاحات نسبيَّة بسبب سيطرتها على أصول عالم الاتصال الحديث في العالم.

هنا نعود إلى انتشار الظُّلم والجَور المتوقَّع قبل الظُّهور المبارك. فهل

المقصود فيه تزايد القهر والعنف في العالم، ويكفي تطور وسائل القتل في ذلـك؟ أم أنَّ الموضوع أعمق من ذلك. من المفيد أن نلحظ أمرًا مهمًّا في هذا المجال، وهو أنَّ وسائل الاتّصال بيد كفرة هذا الزمن، وهم يتحكَّمون بها، ويبثُّون عبرها موادًّا شيطانيَّة خطيرة دون توقُّف، بل بتدفُّق لا ينتهي. إنَّ الاستعمالات المفيدة لتكنولوجيا الاتصالات ملحوظة، لكنَّ الواقع يُشير إلى أنَّ استخداماتها في التَّضليل المعلوماتي والإباحيَّة وإضاعة الوقت واللهو والتَّسلية أكبر بكثير على مستوى الأرض. في المقابل، فإنَّ توفُّر المعلومات الصحيحة والعلميَّة ومناهج التَّفكير السَّليم والمواد المعقولة والتَّرفيه المقبول أقل بكثير.

المُشكلة أنَّ الانعتاق اليوم من الهواتف الذَّكيَّة، مثلاً، والابتعاد عن التَّواصل اليومي مع العالم عبر خدمات شركات التّكنولوجيا أصبح صعبًا، بل صعبًا جدًّا. قلَّة هي القادرة على فكّ ارتباطها بهذه الأمور، وحتَّى لو حصل ذلك، فإنَّ الأقرباء والمحيط متورّط فيها طوال الوقت، وتخرج علينا أجيال جديدة لا تفارق الهواتف يدها، وقد أصبحت معضلة أُسريَّة وتربويَّة حادَّة.

هذه المُشكلة لم تكن موجودة في السَّابق. قديمًا، كان المؤمن قادرًا على حماية نفسه وأسرته من الظُّلم والجَور. كان يكفي أن يهاجر في الأرض ويتخفَّى ويغيّر اسمه لينجو. هكذا فعل كثير من الصَّالحين عبر التَّاريخ، وهكذا فعل أبناء الأئمة وأصحابهم، الذين تنتشر قبورهم في أنحاء بعيدة

عــن مواطنهم الأصليَّــة. تمكَّنوا من الفرار من القتــل والاضطهاد، والفرار بأنفســهم. نجح هذا الأسلوب لقرون من الزَّمن، لكنَّه تغيَّر اليوم، مع تطوُّر وســائل التَّعقُّب والاعتراض، والتعرُّف على الوجوه والأصوات، واختراق الخوادم والكاميرات، وإشــاعة إنترنت الأشــياء، وصولاً إلى خوارزميَّات الذَّكاء الاصطناعي. بات الانعزال اليوم مســتحيلاً، أو بالحدّ الأدنى صعبًا للغاية.

هنا تظهر الكارثة، التي يقع ضحيَّتها البشر جميعًا. لقد أشاع الغرب الفساد في العــالم، خُلُقيًّا وقِيَميًّا، وملأ الدُّنيا بالظُّلــم والحروب، ثمَّ يتحدَّث عن الوصول إلى الفضاء وحريَّة التَّعبير. تبلغ الفتن أقصاها في زمننا، وقد تتزايد في المســتقبل، والله العالم. كل هذه الضَّــلالات باتت في كلّ يد، وتراها كلُّ عين، وتســمعها كلُّ أذن. يملك الهواتف الجميع، وهي متَّصلة بمراكز الظُّلم والجَور طوال الوقــت، بل تُصبح خدماتها أكثر خطورة، مع لَحظها للاهتمامات الفرديَّة، وبث كلّ المواد الشَّيطانيَّة التي تُسقط الإنسان. لم يعد بمقدور أحد الهروب بدينه، بل بات الخيار الوحيد هو القبض على جمره. كأنَّ على المؤمن أن يرى الفساد، ثم يَحيدُ عنه، وربمَّا أحيانًا المشاركة فيه، ونكرانه في قلبه. على مثال بلاء (أهل الكهف)، الذين تجاوزوا التَّقيَّة، إلى الاضطرار إلى مشاركة الظَّالمين فســادهم، والبقاء أنقياء في الوقت نفسه. هــذا أمر صعب مُســتصعَب، لا يقدر عليه كثير. هنــا التَّمحيص يصل إلى أقصاه، ويسقط كثيرون تحت الغربال.

هــذه هو الامتلاء، الذي نصَّت عليه الرُّواية. ليســت القصَّة في كميَّة الظُّلم والجَور، بل في امتلاء الأرض بها. لعلَّنا نصل إلى هذه المرحلة، من خلال تكنولوجيا الاتّصال والأســلحة النَّوويَّة. لم يعد هناك مفر من انتشار الظُّلم والفســاد، مــع حاجة الجميع إلى الاتّصالات. في هــذا المجال، لا يمُكن الحســم بأنَّ البشريَّة وصلــت إلى مرحلة الامتلاء، بل يمُكــن القول إنَّ ما بلغتــه التّكنولوجيا اليوم من قدرة وصــول إلى كل فرد باتت خطيرة. فنحن مخترقون بكلّ وســائل جمــع المعلومات، والتي تُحلَّــل برامجيًّا، ويُصار إلى اســتخلاص نقاط ضعــف كلّ واحد منا. يُضاف إليهــا الإعلام الهابط والمسلسلات التلفزيونيَّة المشينة بســيناريوهاتها والرّياضات الاستهلاكيَّة المشتّتة للتَّركيز والبرامج التحريضيَّة والمحتوى التَّكفيري والعنصري، عبر وســائل التَّواصل، ونشر التَّفاهة، والدّعاية للشُّــذوذ والبيدوفيليا، والسُّفور والتَّعرّي، وتفكيك الأُسر، وتحريض بعضها على بعضها الآخر والفردانيَّة، والإباحيَّــةن ولوحــات الشَّــوارع وغيرها. يجــد المؤمن الحريص نفســه محاصرًا من كلّ جانب، وفي حالة ترقُّب شديد كي لا ينزلق.

مع هذا كلّه، ينبغي التّذكير أنَّ أهل الحق ليسوا ضعفاء في التَّوازي، ولديهم إعلامهــم وجهودهم. فالحــقُّ لا يحتاج جهودًا ترويجيَّــة بحجم ما تتطلَّبه الدّعايــة للباطل. يكفــي بعض الحِرفيَّة في التَّصريــح بالحق كي يرغب به النَّاس. أمَّا الباطل، فلا يبرز إلَّا باستثمار موارد هائلة ومستمرَّة؛ لأنَّه خلاف الطَّبيعــة والحــق. خلاصة القــول، إنَّ الصَّالحين يعانون مــن امتلاء الدُّنيا

بالظُّلم والجَور، ويحاولون مواجهة ذلك بإمكانيَّات متصاعدة، ويَحرجون الأعداء بصوتهم وسلوكهم العادل، لكنَّهم لايقدرون على مواكبة إمكانيَّات الباطل، كما يبدو، إلى حين الظُّهور.

المَبحثُ الثَّالث:
تحقيق العدل المُتعالي

سبق الكلام عن مدرستين في العدل، وأنَّ الأديان، وبالتَّحديد إسلام أهل البيت عليهم السلام، يُصرُّ على المطالبة بالعدل على الأرض؛ لأنَّها الوسطيَّة العقلانيَّة للحق. لذلك، تمتلئ الأرض بالقسط والعدل، ويتحقَّق العدل المُتعالي بتمامه على الجميع. حينها تظهر الثَّمرة المباركة لخُطَّة الاستخلاف الإلهيَّة للبشر على الأرض، ويُؤكَّد، بالفعل، أنَّ نظام العدل المُطلق، على المستوى الإنساني، مُمكن التَّحقيق.

يتطلَّب الأمر، كما هو واضح، توفُّر كثير من الشُّروط، وأكثر منها، العظيم من الإرادات. فإذا قام بناء العدل في العالم، فلن يكون سهلاً على الجيل الأوَّل بعد الظُّهور التَّأقلُم معه. لذلك، من المعقول القول إنَّ إرساء هذا المستوى الرَّفيع من العدالة في المجتمع له ثمن كبير، بسبب اجتماع القُوى المتضرّرة منه كما هو متوقَّع وبديهي. فأولئك الذي جهدوا، عبر التاريخ،

لإجهاض رسائل الأنبياء والأوصياء، وقتلوهم وظلموهم وحاربوهم، هم أنفسهم موجودون في كلّ مرحلة. القوم هم أنفسهم، ويحذون حذو من سبقهم، والكُفر ملَّة واحدة. والاستجابة الدَّمويَّة نفسها ستواجه (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف عند خروجه، وهو سيأتي مُصلحًا لا صالحًا فقط، فلن يتحمَّلوه، وسيحاربوه، وربمَّا يتوقَّعون أن ينكفئ، بسبب ضعف العناصر الماديَّة الظَّاهرة لأهل الحق، كما حصل عبر تاريخ البشر الطويل مرارًا. لكنَّ الواقع الجديد سيُفاجئهم، وسيندحرون أمام جيش الرُّعب المُطالب بالحق أخيرًا، وتتحقَّق النُّبوءات.

ينبغي الالتفات إلى أنَّ تطبيق العدل ليس أمرًا سهلاً، حتَّى لو كانت يد الحاكم مبسوطة، ويد القائد قويَّة. فعلى جوانب العدل، يُراق الدَّم، بالحروب والجزاء. فحجم رفض العدل هائل، وسيتعارض مسار القائد عليه السلام مع مصالح كثيرين، من الأقربين والبعيدين. من المفهوم أن يخوض الإمام عليه السلام معارك شرسة، قد تبدو دمويَّة وقاسية وربمَّا غير تمييزيَّة، لكنَّه المعصوم، الذي لا يرتكب أيَّ خطأ. من يستنكر فعل معصوم ما، عليه أن يستنكر نفسه. في الدُّعاء، مهما بلغ شأن المكلّف، فهو يُفترض أن يكون صادقًا في قوله: «رأيي لكم تبع». لا رأي فوق رأي (المنتظر) عجل الله تعالى فرجه الشريف، وخليفة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأطهار. فإذا أومأ أو أراد كفى، وفعله العدل، وقوله الصّدق، ورأيه الصَّواب. هناك مسار نهائيٌّ لتقويم البشريَّة، التي ولغت في الفساد والقتل الظَّالم، وهذا المسار سيستمر بمن أراد وبمن لم يُرد. يختار

العاقل الجانب الصَّحيح من التَّاريخ، ويعرف أنَّ ثمن العدل عادل.
من جانب آخر، فإنَّ تطبيق العدل في الدَّولة المهدويَّة هو أمر فائق الأهمّية، ونتكلَّم هنا عن استجابة المُجتمع. بوجود قادة عدول، جاد بهم الزَّمان، وكثير من الإرادات ينجح المشروع ويستمر. بالنّسبة للنَّاس، هم بحاجة إلى فَهم مُسبق عمّا يعنيه العدل. كلُّ التَّجارب السَّابقة قاصرة عن الإفهام. والنتيجة هي أنَّ تطبيق العدل التَّام هو نظام قاسٍ، يُصبح أسهل مع الاعتياد وظهور أجيال جديدة، انقطعت عن الماضي الرَّديء. المُهم هو أنَّ البداية ستكون صعبة، على الأرجح، لذلك، من واجب الممهِّد أن يتحضَّر في سلوكه اليومي لقبول موجبات العدل، ويبتعد عن أيّ ظلم.
في العَلاقات الدَّوليَّة، يُصبح تطبيق العدل أصعب بكثير، رغم أنَّ من مصادر القانون الدَّولي العام مبادئ العدل والمساواة. إنَّ العَلاقات بين الأُمم سادتها القُوَّة والتَّهديد بها وحيازة الموارد والثَّقافة العُدوانيَّة تجاه الآخر. عندما يأتي الإمام عليه السلام ليقود هذا العالم، يتغيَّر كلُّ شيء. سيُفرض العدل بالقوَّة حيث يجب؛ لأنَّ الحُجَّة تُلقى على النَّاس قبل الظهور، وبنزول (السَّيد المسيح) عليه السلام في مكان آخر -المذخور لهذه اللحظة التَّاريخيَّة من وجهة نظر الإسلام- تكتمل أركان ملء الأرض بالعدل، على جميع الأمم المتبقّية، باختلاف ثقافاتها وقِيَمها ولغاتها. فتنشأ شبكةٌ جديدة من العَلاقات، يُمكن التَّنظير لها على هذا الشَّكل:
١. في حالة السّلم والالتزام بالقانون الإلهي: كلُّ أمَّة توافق على

السَّـلام، وتبتعـد عن العُـدوان، وتخضع لحكومـة العدل، تحظى باحـترام خصوصيَّاتهـا، وبرعاية الدَّولة الجديـدة، ضمن إطار عام يُتيـح النّقـاش والإيجابيَّة وتبـادل الأفكار ومنـع ضغوط المجتمع أمـام تبنّي القناعات الشـخصيَّة. في هذه الحالة، يكون نظام العدل المتُعـالي مكسـبًا للجميع؛ حيث لا ظلم مطلقًـا، والكثير من الثّقة بالقائـد الجديد للبشر، وهو العادل والمعصوم والعالم والشُّـجاع، والذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

٢. في حالة الحرب ومناقضة القانون الإلهي: الأُمم المحاربة سـتدفع ثمن خياراتها، بسـبب سلوكها المعادي لسـلامة المجتمع البشري ومـشروع نظام العـدل الذي يُقام. في الحـروب، الجنود معرَّضون للقتـل، هكـذا هـي قوانين الحـرب. ويقـول القديس (أغسـطين Agustín-): "إنَّ الخطايا التي يرتكبها الطَّرف الآخر هي التي تُجبر الرَّجـل الحكيم على إطلاق حرب عادلـة"[1]. عندما تبادر جهة ما إلى خرق القوانين الجديدة، بسـبب رغبتها في الاسـتمرار في نهب ثروات الأُمم الأخرى وقتل الأبرياء لن تجد مكانًا في العصر الخُلُقِيّ للبشريَّـة. فنسـختها الرديئة للحُكم باتت مـن الماضي، ولن يكون مسـموحًا لأحد البقاء على عقليَّة القتل وسـفك الدّمـاء والخداع.

1 - Philip Schaff: Augustin's City of God and Christian Doctrine, P597.

الأهم، هو أن تفهم هذه الجماعات أنَّ زمن التَّغيرُّ الكبير قد حان، وليس لها صلاحيَّة العودة إلى الأساليب الشَّيطانيَّة لإعادة التَّاريخ إلى الوراء.

المَبحثُ الرَّابع:
توفُّر صفة الإدارة في أنصار الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

هناك أمرٌ لافت في أصحاب (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، إلى جانب مواصفاتهم الاستثنائيَّة الأخرى، كالتَّقوى والشَّجاعة والإيمان والعلم. هؤلاء هم قادة العالم، وبهم تستقيم رئاسة (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف للأرض. فالسّياسة لُغةً، هي القيام بالشَّيء وقيادته، وهي، اصطلاحًا، فن الحُكم. فهؤلاء يمتلكون قدرات عالية في مجال إدارة المُجتمعات البشريَّة والسُّلطات العامَّة. إنَّ ميزة المعرفة والمهارة الإداريَّة محوريَّة للغاية في مقاربة مزايا قادة الدَّولة الأخيرة للإنسانيَّة. لا يلتفت البعض لهذا الأمر، بينما الواضح أنَّ القدرات القياديَّة لأصحاب (صاحب العصر) عجل الله تعالى فرجه الشريف يجب أن تكون محل اهتمام؛ لأنَّ تحصيلها هو واجب المُمهّد.

إنَّ الإدارة هي أساس استمرار الحضارة، ومحور قوَّة الدَّولة، ونجاحها من نجاح المشروع السّياسي، وفشلها يؤدّي إلى هدم أهم المؤسَّسات وضرب

أرقى الأفكار. تنمو المؤسسات العامَّة بحسن إدارة مواردها البشريَّة والماديَّة، وتتراجع بشدَّة مع ضعف الإدارة العامَّة لها. هذا ما عانت منه أُمم كثيرة، فخبا وهجها خلال زمن محدَّد. أمَّا ما تميَّز به بعض القادة، ممَّن لحظوا أهمّية العمل الإداري المتقن، فبالغوا بالاهتمام بتفاصيله، فقد رفعوا شعوبهم فوق باقي الأمم. لذلك، ليس هناك مفرٌّ من دفع الاهتمام بتطوير الكفاءة الإداريَّة للمسؤولين والمُدراء إلى الأمام، دومًا، ما دام المُخطَّط هو تمكين الدَّولة من النَّجاح والارتقاء، ومن صناعة ثقة النَّاس بها وبقدرتها على القِيام بواجباتها.

نلاحظ مثالاً مُعبرّاً عن نوع أصحاب الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهم السُّفراء الأربعة. من المعلوم أنَّه في عصر الغيبة الصُّغرى، والتي دامت تسعة وستين سنة، كان هناك أربعة نوَّاب خاصين للإمام عليه السلام. هؤلاء نَموذج جدير بالدّراسة عن نوع القادة المطلوبين ومواصفاتهم. منهم يمكن استقاء المزيد حول هذه القضيَّة المهمَّة، عند النَّظر إلى أهمّية المستقبل البشري. فعدا عن المواصفات العديدة التي تجمع السُّفراء الأربعة، يمكن استكشاف صفة مهمَّة. هم لم يكونوا الأعلم أو الأشهر، بالضَّرورة، ومثال (الحسين بن روح النوبختي) (السَّفير الثَّالث) بارز؛ حيثُ تفوَّق عليه (أبو سهل النوبختي). هم تمتَّعوا أيضًا بصفة الإدارة الكفوءة، وقد نجحوا فيها، ونقلوا الشّيعة من مرحلة إلى مرحلة، دون أي تقصير، خلال مدة توازي عمر إنسان. الإدارة الفُضلى ضرورية جدًّا في أزمنة الانتقال والأزمات؛ حيث إنَّ استخدام كلّ

الموارد المتاحة، مع قدرات شـخصيَّة متميّزة، يكون أمرًا مفصليًّا من أجل النَّجاح.

من السَّـهل الافتراض أنَّ أصحاب (الإمام المهـدي) عجل الله فرجه الشريف الخُلَّص لديهم قُدرات إداريَّة عالية، تمُكّنهم من القيام بمهامهم، رغم كون أغلبهم شباب. أمَّا المعرفة، فلا يُسـتعصي تزويدهم بها، وسـيّدهم موجـود، والعلم نور، يُلقيه اللـه -تعالى- في قلوبهم، عدا عن كفاءاتهـم التي قد تكون محصَّلة لديهم في إطار التَّحضير للظُّهور. تبقى القُدرات الشَّـخصيَّة، وهي مرتبطة بالتَّقوى، بمراتبها العالية؛ حيث الاسـتغناء التَّام عن البشر ودُّنياهم، فليس في نفوسـهم سـوى الصَّلاح، إلى حـدَّه الأقصى. إنَّ تراكـم المواصفات الشَّخصيَّة الأرقى في عقولهم وقلوبهم وكمال قيادتهم، سيجعلهم قادرين على القِيام بمهمَّاتهم الجسـيمة، وصولاً إلى النّهاية السّعيدة. هنا يبزر دور الإيمان الحقيقي في تكوين الإنسـان، ودور القيادة الصَّالحة في بلوغ أمر الاستخلاف الصَّافي لكلّ البشر.

إنَّ التَّمهيد الإداريَّ والدَّوليَّ من أبرز الشُّروط الواجب توفُّرها في المجتمع المُمهّد، والتي ينبغي عـلى أفراده العمل عليهما. فالهدف كبير جدًّا، وهو إنشـاء دولة العالم كلّه، وهو شأن يستوجب إعداد كفاءات كثيرة في مجال الإدارة. الأهـم هنـا هـم الضُّباط، أمَّا العنـاصر فيأتون تباعًـا. لكن حجم المَهمة اسـتثنائي، فتكون النتيجة أنَّه على كلّ مؤمن ينتظر (الحُجَّة) (عج) حقًا، أن يسعى دومًا إلى حيازة قدرات إداريَّة نوعيَّة، بدءًا من أسرته، مُرورًا

على قريته وشركته ومدينته ودولته، وانتهاءً بالعَلاقات مع الشُّعوب الأخرى وكلّ الكون.

المَبحث الخَامس:
انتهاء العَلاقات الدَّوليَّة

إنّ الدَّولـة المهدويَّة فئة مختلفة من الدُّول، ولا تشـترك معها دولة أخرى. نعم، هناك مشـتركات مع العهد النَّبوي الشَّريـف، ودولة (أمير المؤمنين) عليه السلام، ومرحلة (الإمام الحسن) عليه السلام، وقبلها دولة (سُليمان) عليه السلام، وغيرها، لكنَّها مشـتركات في جوانب محدَّدة. وقد مرَّ سـابقًا الـكلام في مزايا هذه الدَّولة العظيمة، التي من يعاصرها سـيكون قد فـاز فوزًا عظيمًا في الدُّنيا، ونجا قلبه من أدران من سبقه.

تحكم دولة (القائم) عجل الله تعالى فرجه الشريف العالم كلَّه، فلا يبقى سـواها دولة في المعمورة، وما يتبقَّى هو مجموعة أُمم وشعوب. ينتهي التَّاريخ بها، وتتوحَّد الجغرافيا، وتحكـم ثقافـة واحـدة الأرض. هو نظام مركـزيٌّ قويٌّ، يتمتَّـع بالمرونة، ويسمح بتعدُّد الأديان والآراء، لكنَّ مرجعيَّة كلّ شيء هي للعدل، ولا أوسع من العـدل. حينها، يحصل الانتقال من العَّلاقـات الدَّوليَّة، إلى العَلاقات بين الأُمم والشُّـعوب، وهي شـبكة مُتحرّرة من التَّواصل المُفيد، دون قيود

رسميَّة، تدَّعي تمثيل الشُّعوب. إنَّ التَّأمُّل في طبيعة هذه المرحلة الذَّهبيَّة تحتاج إلى أدوات تحليل مختلفة؛ حيثُ يحل السَّلام في العالم، ولا يعوق تبادل الأفكار شيء، تحت قيادة الحق الصَّافي، الذي سيُسلّم له الجميع. سيكون الدّين هو الإسلام، بنسخته الحقيقيَّة، التي لا يستطيع تشويهها أحد بعد ذلك. سيكون الإسلام أكثر من تشريعات وهُويَّة، بل سيتجلَّى بصفته طريقة حياة كاملة، لا غنى عنها. فيجعل الله -تعالى- للبشر مخرجًا من كلّ ما عانوه في جاهليَّتهم، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

هذه العَلاقات بين الشَّعوب الأرضيَّة، ستتميَّز ببعد خُلُقيّ عميق. لن يكون مقبولاً أي باطل، الذي سيكون تمايزه عن الحق جليًّا. سيكون الجميع أمام الحقائق المجرَّدة، ويُفتح كتاب التَّاريخ كما هو، وتظهر الآثار المخفيَّة، وتنكشف أسرار الدُّنيا، وربمَّا يعيش المجتمع حالة دهشة طويلة أمام سلسلة لا تنتهي من المعلومات الجديدة غير المسبوقة. هي حالة تغري أيَّ باحث عن الحقيقة، فيتُوق لها، لا سيَّما في زمننا الأغبر، الذي تحتكر المعرفة فيه دول وشركات غارقة في التَّدليس والضَّلال والباطل والجهل، فلا يفوح منها إلا ظنونٌ تُقَدَّم بوصفها علومًا حاسمة. أمَّا في العالم البشري الكامل، فسيتَّضح الفارق بين من يدَّعي العلم ومن يملكه فعلاً، وبين من يستغل بعض الأمور العلميَّة التَّجريبيَّة لسفك الدّماء والقهر، وبين من يبنون العالم بالعلم التَّام والظَّاهر. ستنشأ علوم إنسان مُغايرة، قائمة على تأصيلٍ نافع وعميق، تكشف لكلّ دارسيها حقيقة البشر، وعَلاقاتهم مع

الغيب، وغاية العلم الصَّحيحة. في هذه الأجواء، لا يُتوقَّع إلاَّ انتشار الخير في العالم، وغيـاب الشُّرور، في حالة جديَّـة لا خياليَّة، فتقترب الأمم من بعضها البعض، دون سـقوط المسـؤوليَّة عن أي خطأ فردي هنا أو هناك. أمَّا المجتمعات، فستتَّسـق سـويًّا في اتّحاد كبير، همُّه التَّعرُّف إلى المزيد، بانتظار إرهاصات النّهاية والقِيامة.

خاتمة

في هـذه البشريَّة ثلاث محطَّات كبيرة، وهي خلـق (آدم) عليه السلام ونزوله إلى الأرض، والبعثـة النَّبويَّة الشَّريفة، ودولة آخر الزمان. حصل اثنتان، وبقيت واحدة. مسـؤوليَّتنا هي المرحلة الثَّالثة، والتي يتحمَّل كلَّ مؤمن مسـؤوليَّة فيها. لكن، يجب الاعتراف بأنَّ الاهتمام بهذا الأمر لا يزال مُتواضعًا، رغم تزايد الكلام فيه. إنَّ ظهور (الإمام المهدي) عجل الله تعالى فرجه الشريف، سـيّد المسلمين، ونزول (السَّـيد المسيح) عليه السلام، سيّد المسـيحيّين، في وقت متقارب، أي صاحبي أكبر ديانتين في العالم، في زمن الظهور، هو أمر جَلل، وغير عادي، ودلالة على مرحلة استثنائيَّة في التَّاريخ.

إنَّ حركة (عيسى) عليه السلام نفسها، وادّخارها لهذه المرحلة، هي عَلاقات دوليَّة. به يتيح الله -تعالى- المجال لإظهار الحق وتبيينه لشرائح واسـعة تؤمن به أو تتأثَّـر بالأجواء التي تصنعها عودته. فتنكسر حلقة أي عداء محتمل بين الجماعات التي تقطع بنظرتها للحق، وفق ما تعرف. فيحل (المسيح) عليه السلام هذه الإشـكاليَّة، ويكون سفيرًا للحقّ المسـتجد بعد الظُّهور، يشرح للأُمم المسـيحيَّة حقائق الأمور، فتؤمن بما يقـول أو تعارضه. ومن يرفض الخير يُعاقَب لخير المجتمعات.

إنَّ المباني الخُلُقِيَّة للإنسـانية مشـتركة، وهي مطلقة غير نسبيَّة، وبها تبقى

أُمم الأخلاق، ولا تنهار. لا يُمكن بناء الدَّولة الخاتمة للبشريَّة دون أسس خُلُقيَّة بالغة المتانة ولا تحتمل التَّأويل. هناك في الإسلام فِقه واسع للأخلاق ومباحث عميقة فيه، وهو ما يجب تطبيقه في المستقبل، الذي لن ترسمه أقلام غير دينيَّة، بل ستصمّمه أيادٍ ترتفع بالابتهال للخالق الذي شرَّفها بموقع الخِلافة.

من أبواب الأخلاق أصول التَّعامل مع الآخرين، أفرادًا وجماعات وشعوبًا، وقد خلق الله -تعالى- النَّاس قبائل وشعوبًا ليتعارفوا. إنَّ التَّعارُف له أسس، وكي يتم بطريقة صحيَّة، لا بُدَّ من القضاء على حكومات الجَور، التي تَحول بين شعوبها وبين فَهم الحقائق. إنَّ إزالة دول الظَّالمين ومن يؤيّدهم هو شرط لازم في سبيل بناء العالم الجديد؛ حيثُ يخلص الحق والباطل، ولا يمتزجان، فلا يلتبس الأمر على النَّاس، وينجو كلُّ طالب خير وصلاح. بعد تحرير العالم من الظُّلم والجَور، تتغيرَّ العَلاقات الدَّوليَّة، وتتحوَّل إلى تعارف بين الحضارات، على أُسس علميَّة صحيحة.

لائحة المصادر

- القرآن الكريم
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤.
- ابن رشد، مقدمات ابن رشد، دار صادر، بيروت، لا ت.
- ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- أوليفر نورث، تحت النار، ترجمة إلياس فرحات، دار الحرف العربي ودار المناهل، بيروت، ١٩٩٢.
- جمال البنا، نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٥.
- ديفيد جونستون، مختصر تاريخ العدالة، تر: مصطفى ناصر، عالم المعرفة، ٣٨٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ٢٠١٢.
- علي شريعتي، الشهادة، ط: ٢، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٧.
- محمود عبد الله محمد خوالدة، علم نفس الإرهاب، الشروق، عمّان، ٢٠٠٥.
- محمد فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب، الأوائل، دمشق، ٢٠٠٦.

- ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٧.
- محمد مهدي شمس الدين، فقه العنف المسلح في الإسلام، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠١١.
- مرتضى مطهري، العدل الإلهي، ترجمة: محمد عبد المنعم خاقاني، الدار الإسلاميَّة، بيروت، ١٩٩٧.
- مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، أدوات سيادة القانون لدول ما بعد الصراع: رسم خريطة قطاع العدالة، الأمم المتحدة، نيويورك وجنيف، ٢٠٠٦.
- زيد بن عبد الكريم الزيد، مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، ٢٠٠٤.
- Barry Buzan and Eric Herring, the Arms Dynamic in World Politics, Lynne Rienner Publishers, London, 1998.
- Geoffrey Jukes, The Second World War (5): The Eastern Front 1941 – 1945, Osprey Publishing, UK, 2002.
- Philip Schaff, Augustin's City of God and Christian Doctrine, Grand Rapid, Michigan, 1890.

الفهرس

مُقدّمة ٥

الفَصْلُ الأَوَّلُ ١٧
نسبيَّة الأخلاق وسياسة القوَّة في السّياسات الغربيَّة الماديَّة

المبْحَثُ الأَوَّلُ ١٥
النَّظريَّات الليبراليَّة والواقعيَّة في العَلاقات الدَّوليَّة

المبْحَثُ الثَّاني ١٨
لبيراليَّة الخطاب الحقوقيّ وسياسة القوَّة

المبْحَثُ الثَّالثُ ٢٠
نسبيَّة الأخلاقَ في السّياسة الدَّوليَّة

الفَصْلُ الثَّاني ٢٣
الأخلاق السّياسيَّة المُطلقة في الإسلام

المبْحَثُ الأَوَّلُ ٢٧
مُوجَب الالتزام بالاتّفاقيَّات في العَلاقات الدَّوليَّة

المبْحَثُ الثَّاني ٣١
لوفاء قاعدةٌ ملزِمة في الأخلاق السّياسيَّة

المبْحَثُ الثَّالثُ ٣٢
السّياسة الشَّرعيَّة بين المبدئيَّة والمصلحة

الفَصْلُ الثّالث ٣٥
فِقه الدّبلوماسيَّة

المبْحَثُ الأَوَّلُ ٤١
أهمّيَّة تكثير الأصدقاء الدَّوليِّين

المبْحَثُ الثَّاني ٤٣
فِقه الأولويَّات السّياسيَّة

المبْحَثُ الثَّالثُ ٤٦
قواعدُ الكِياسةَ والبروتوكول الدَّوليَّين

الفَصْلُ الرَّابع ٤٩
الأخلاق بين فِقه الجهاد وقانون النّزاعات المسلَّحة

المبَحَثُ الأَوَّلُ ٥٤
قانون النّزاعات المسلَّحة

المبَحَثُ الثَّاني ٥٧
فِقه الجهاد

المبَحَثُ الثَّالثُ ٦٠
أخلاق الحربَ وقواعد الشَّرف العسكري والفروسيَّة والمبارزة

المبَحَثُ الرَّابع ٦٤
ثر الشَّجاعة في تغيير السّياسات العامَّة

المبَحَثُ الخامس ٦٦
الحسم في دولة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

الفَصْلُ الخامس ٦٩
الهُدنة بين الالتزام الخُلُقِيّ وأولويَّة العدل

المبْحَثُ الأَوَّلُ ٧٣
تجارب خرق الآخرين للهُدن

المبْحَثُ الثَّاني ٧٤
نظريَّات العدل في الفِكر الحديث

المبْحَثُ الثَّالثُ ٧٩
أهلُ العهد والأَمان في الإسلام

الفَصْلُ السَّادس ٨٣
الإتمام العام لمكارم الأخلاق بعد تحرير العالم

المبْحَثُ الأَوَّل ٨٦
خُصوصيَّة الدَّولة المهدويَّة

المبَحَثُ الثَّاني ١٠٠
نظريَّة الامتلاء

المبَحَثُ الثَّالث ١٠٦
تحقيق العدل المُتعالي

المبَحَثُ الرَّابع ١١٠
توفُّر صفة الإدارة في أنصار الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

المبَحَثُ الخَامس ١١٣
انتهاء العَلاقات الدَّوليَّة

خاتمة ١١٦

لائحة المصادر ١١٨

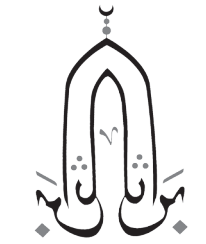

مركز بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

يَتناول هـذا البحث المبـاني الخُلُقِيَّـة للعَلاقـات الدَّوليَّـة في الدَّولة المهدويَّـة، وهي قضيَّـة جديدة في البحـث. فيشرح، بشـكل مكثَّف، فِقه الأخلاق في الإسـلام، ونسـبيَّته عند اللا دينيّين، ونتائج ذلك على العَلاقات الدَّوليَّة والنّزاعات المسـلَّحة. وينتقل البحثُ إلى الكلام في محوريَّة العدل في الدَّولة المهدويَّة، ونظريَّاته الحديثة، ليصلَ في نهايته إلى سَبر خصوصيَّة هـذا المـشروع الإلهي، الـذي يتمتَّع بشروط خاصَّـة، تُوفّر لـه النَّجاح في المسـتقبل. فتتغيرَّ طبيعة العلاقات بين الأُمم، وترث تاريخًا سـاده الفسـاد وسـفك الدّماء، لتُختتم مسيرة البشرية بنظام الاستخلاف العام، الذي جعل الله -تعالى- بدايته مع خلق (آدم) عليه السلام، وصولًا إلى (الرَّسـول الأكرم) صلى الله عليه وآله وسلم، وانتهاءً بالقِطاف المهدوي المبارك، إن شاء الله.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

مركز تراث للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد